

المكتبة الأندلسية
٩

ديوان حازم القرطاجني

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري
(٦٠٨ - ٦٨٤)

تحقيق
عثمان الكعاك
مدير عام دار الكتب - بتونس

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

ديوان حازم القرطاجني

المكتبة الأندلسية

٩

ديوان حازم القرطاجني

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري

(٦٠٨ - ٦٨٤)

تحقيق
عثمان الكعاك
مدير عام دار الكتب - بتونس

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

أ

حازم القرطاجني (*)

نسبه – كما أورده السيوطي – هو : حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري القرطاجني[1] أبو الحسن ؛ وقال بعض المؤرخين حازم بن محمد بن الحسن بن حازم ، ويبدو أن هذا المؤرخ قد اختصر سلسلة النسب ، ولم يشأ ايرادها كاملة كما فعل السيوطي ؛ ينتمي إلى بيت مشهور ببلده ، كما شهد ابن سعيد .

والقرطاجني (بفتح القاف وراء ساكنة وطاء مهملة فألف فجيم مفتوحة فنون) نسبة إلى قرطاجنة الاندلس لا قرطاجنة تونس ، وهي من سواحل كورة تدمير في الجانب الشرقي من الاندلس .

(*) ترجم له ابن سعيد (انظر اختصار القدح المعلى : ٢٠ – ٢١) والسيوطي في بغية الوعاة : ٢١٤ وهو ينقل عن أبي حيان وعن رحلة ابن رشيد ، ونقل المقري ما أورده السيوطي في أزهار الرياض ٣ : ١٧٢ وزاد عليه نقولاً من مصادر اخرى ، وأورد له أشعاراً في النفح ٣ : ٣٤١ ، ٨ : ٣٤ ، وذكره ابن العماد في شذرات الذهب ٥ : ٣٨٧ (وفيات ٦٨٤) وراجع بروكلمن في الجزء الأول من تاريخه : ٣١٧ وتكملته ١ : ٤٧٤ ؛ وتناول مقصورته الدكتور مهدي علام في حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس (ج ١ : ١ ـ ٣١ ؛ ج ٢ : ١ ـ ١١٠/١٩٥٣ ، ١٩٥٤) والاستاذ غرسية غومس في المجلد الأول من مجلة الاندلس : ٨١ ـ ١٠٤) ؛ ولسنا نثبت في هذه المقدمة الا تعريفاً موجزاً بحازم ـ دون دراسته أو دراسة شعره ـ معتمدين على ترتيب ما جاء في المراجع المذكورة .

(١) في بغية الوعاة : القرطبي وهو خطأ مطبعي دون ريب ، وقد نقل المقري عن بغية الوعاة فاثبت القرطاجني .

ويقول ياقوت انها تسمّى : قرطاجنة الحلفاء وهي قريبة من ألش وأنها عملت على مثال قرطاجنة التي بافريقية (وفي المشترك وضعاً : قرطاجنة الخلفاء – بالخاء المعجمة – وكذلك أثبتها بروفنسال في الروض المعطار) .

ولد سنة ثمان وستمائة ، وكانت قوة الموحدين في الاندلس قد أخذت تنحسر فاستقل زيان بن أبي الحملات ببلنسية ، وخرج ابن هود على سلطان الموحدين بالأندلس وألف دولة مستقلة وثار ابن الأحمر بارجونة وأخذت قوى الشمال على يد طاغية قشتالة وملك أرغون تهدد المدن الأندلسية ، وفي سنة ٦٣٣ كانت للعدو سبع مواقع يحاصر منها المدن الاسلامية : اثنان منها على بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ، ومحلة بجيان ومحلة بطبيرة ومحلة بمرسية ومحلة بلبلة ، وأسطول جنوة يحاصر سبتة ، وبدا كأن عقد الأندلس وشيك الانفراط ، فسقطت قرطبة في يد طاغية قشتالة سنة ١٢٣٦ ، وظفر طاغية ارغون بكثير من حصون بلنسية والجزيرة وبنى حصن أنيشة لحصار بلنسية وأنزل بها عسكره، وحدثت معركة أنيشة التي قتل فيها الامام العالم شيخ المحدثين بالاندلس في وقته أبو الربيع ابن سالم وهو في السبعين من عمره يحض المقاتلين على الجهاد ، وذهب أديبها ابن الابار تلميذ أبي الربيع موفداً من قبل ابن مردنيش يستصرخ امير الحفصيين أبا زكريا لانجادها ، وأنشده قصيدته السينية المشهورة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا   ان الطريق إلى منجاتها درسا

فأمدها بأسطول كبير ، إلا أنها سقطت في يد صاحب أرغون سنة ٦٣٦ = ١٢٣٨ ثم أخذت البيعة بمرسية والسواحل الشرقية لأمير الحفصيين ، ولكن طاغية برشلونة احتل مرسية وسائر شرق الأندلس حتى مالقة بين سنتي ١٢٤١ – ١٢٤٦ وسقطت اشبيلية عام ٦٤٦ = ١٢٤٨

ولمـــا سقطت قرطاجنة فيما سقط من كورة تدمير كان عمر حازم القرطاجني يناهز الثلاثين ، إذ نقدر انه فارق بـلده في حدود ٦٣٧ هـ ويبدو أنــه لم يقصد تونس توّاً ، وإنما مكث بعض الوقت في مراكش واتصل بالسلطـان الموحدي الرشيد أبي محمد عبد الواحد بن المأمون ، يقول المقري : وفي بعض المجاميع الأدبية من تأليف ابن المرابط نزيل تونس أنه (أي حازم) كان في حضرة مراكش أيام الرشيد ، وأضاف المقري : وله في الرشيد أمداح كثيرة أنشدها في الاشادة . ثم انتقل منها إلى افريقية (أي البلاد التونسية) واتخذها دار إقامة في ظل ملوك بني حفص ، ومدح منهم الأمـــير أبا زكريا يحيى (٦٢٥ – ٦٤٧) وابنه المستنصر أبا عبد الله محمداً (٦٤٧ – ٦٧٥) ومدح أخاه يحيى . وكانت مدينة تونس مستقره ، أنفق فيهـــا ما بقي من عمره محتفظاً بزيه الأندلسي . ويدلّ شعره الذي يمثل أكثره هذه الحقبة من عمره أنه كان ما يزال يأمل أن تحرر الدولة الحفصية الأندلس وتعيدها الى أهلها . كما يدلّ على أن هذا الشعر كان مواكباً للأحداث التاريخية والعمرانية التي قام بها الحفصيون وبخاصة المستنصر .

وقد أطنب ابن خلدون في تفصيل ما استحدثه المستنصر ابو عبدالله من شؤون عمرانية وعدد مما أنشأه :

(١) المصيد بناحية بنزرت ، اتخذه للصيد ، سنة خمسين ، فأدار سياجاً على بسيط من الأرض قد خرج نطاقه عن التحديد بحيث لا يراع فيه سرب الوحش .

(٢) الصرح العالي بفناء داره ويعرف بقبة اساراك باللسان المصمودي وهو القوراء الفسيحة ، وهذا الصرح هو ايوان مرتفع السماك متباعد الأقطار متسع الارجاء .

(٣) البستان المعروف بأبي فهر ، ويشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجر كل فاكهة . وزرع فيه أنواعاً من الشجر البرّي ومن الأزهار المتنوعة شيئا كثيراً .

وبعض هـذه المنشآت مما يشير إليه حازم في قصائده (انظر مثلاً القصيدة : ٧) كما أنه يشير من الاحداث التاريخية إلى اخضاع قبائل رياح (في القصيدة ١٢) وذلك تمّ سنة ٦٦٤ إذ خرج السلطان في ذلك العام من تونس يقود عساكر الموحدين وطبقات الجنود حتى وصل بلاد رياح فدوّخها ومهد أرجاءها واحتل بالمسيلة آخر وطن رياح ، وعاد الى تونس .

والحق ان المستنصر كان ذا شأن عظيم في ملوك آل أبي حفص ، وما كان حازم القرطاجني في قصده اياه إلا واحداً من عشرات العلماء والادباء والكتاب الاندلسيين الذين لجأوا الى حماه بعد أن سقطت بلادهم في أيدي الأعداء ، قال ابن خلدون : « وفي ايامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنها وتأنق الناس في المراكب والمباني والماعون والآنية فاستجادوها وتناغوا في اتخاذها وافشائها إلى أن بلغت غايتها » .

وفي تونس التقى ابن سعيد بحازم وقال في وصف ما لقيه هـذا الثاني من حظوة لدى المستنصر « وهو الآن تحت احسان المقام الامامي المستنصريّ — خلد الله دولته وأبقى على الكل بركته -- وقـد تشرف بالحضور في المجلس الكريم ، وأخـذ معه فيما تجذبه المذاكرة من النثير والنظيم » .

وتعرف حازم في تونس الى رجل آخر من بني سعيد هو ابو عبد الله ابن أبي الحسين محمد بن سعيد الذي عرج على مدحه في القصيدة العاشرة والسادسة عشرة ، ووصفه بالبلاغـة وروعة البيان ، وأنه كان يرعى أمره حاضراً

كان حازم أو غائباً ، وكان أبو عبد الله متفنناً في العلوم مجيداً في اللغة والشعر وله من التآليف كتاب ترتيب المحكم لابن سيده على نسق الصحاح للجوهري واختصاره ، وكان في رياسته صليب الرأي قوي الشكيمة عالي الهمة .

وقد بقي حازم يعيش في ظل الحفصيين إلى أن توفي ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة (٦٨٤) .

* * *

أثنى على حازم من ترجموا له وذكروا أنه كان يحسن اموراً كثيرة من شعر وترسل ونحو ولغة وعروض وبيان ، وأنه كان يضرب بسهم في العقليات ، ومع أنه روى عن جماعة يقاربون الألف عدداً فان ابن رشيد الرحالة ذكر أن الدراية كانت أغلب عليه من الرواية .

ومن كلام ابن سعيد فيه : شاعر مجيد وحسيب مجيد ، وشعره يطوي الاقطار وذكره منشور ، وهو في نظمه طويل النفس ، منير القبس ، مقتدر على حوك الكلام ، مديد الباع في ميدان النظام ، لا يخلو من الألفاظ المبتدعة ، والمعاني المولدة والمخترعة . . وهو ممن استفدت من آدابه وأنشدني شعره ... الخ .

وقال فيه ابن رشيد : حبر البلغاء ، وبحر الادباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد البيان ما أحكم من منقول ومبتدع ؛ وأما البلاغة فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها أميراً في الشرق والغرب ، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها ، فهو حمّاد راويتها وحمال أوقارها ، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط » .

ويبدو أن حازماً — رغم هذا العلم العريض — كان أمرءاً تعتريه

سذاجة في شؤون الحياة العملية ، وهذه قصة تشهد بذلك رواها الشيخ أبو العباس بن الكاتب ببجاية قال : « كنت آوياً إلى أبي الحسن حازم القرطجاني بتونس ، وكنت أحسن الخياطة ، فقال لي : ان المستنصر خلع عليّ جبة جربية من لباسه ، وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس ، وأريد أن تحل أكمامها ، وتصيرها مثل ملابسنا ، فقلت له : وكيف يكون العمل ؟ فقال : تحل رأس الكم ، ويوضع الضيق بالأعلى ، والواسع بالطرف ، فقلت : وبم يجبر الأعلى ، فانه إذا وضع في موضع واسع ، سطت علينا فرج ما عندنا ما نصنع فيها إلا رقعها بغيرها ، فلم يفهم ، فلما يئست منه تركته وانصرفت . » قال ابن الخطيب الذي نقل هذه الحكاية : فأين هذا الذهن الذي صنع المقصورة وغيرها من عجائب كلامه [1] .

* * *

وقد ذكرت المصادر لحازم القرطاجني المصنفات التالية :

١ – المقصورة ، ألفها للمستنصر أبي عبدالله ، وقصر محاسنها على مدحه ومدح أخيه أبي يحيى ومطلعها :

لله ما قد هجت يا يوم النوى ... على فؤادي من تباريح الجوى

صدرها بخطبة ، وهي تدل على اطلاعه . وشرحها أبو القاسم الشريف الحسني القاضي بغرناطة ، وسمّى شرحه : « رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة » وملأه بكل غريبة .

ولم نضمن هذه المقصورة في هذا الديوان ، لأنها مع شرحها عمل

(١) الاحاطة ١ : ٢٠٨ تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان .

مستقل يستحق أن ينشر محققاً وحده في كتاب .

٢ — قصيدة في النحو على حرف الميم وهي التي ننشرها ملحقة بهذا الديوان عن نسخة الاحمدية رقم ١٦١٠ ، قال السيوطي : ذكر منها ابن هشام في المغني أبياتاً[١]، وقد ذكرناها في الطبقات الكبرى مع أبيات أخر ؛ وقد صدرها بمدح المستنصر ابي عبد الله وأشار إلى إكرامه لمن لجأ اليه من الاندلسيين .

٣ — كتاب في القوافي .

٤ — ديوان شعره ، وشعره كثير ، وهذا الذي ننشره معتمدين على مخطوطة الأسكوريال وعلى بعض ما تناثر من شعره في المصادر لا يمثل إلا جزءاً ضئيلا منه .

٥ — كتاب سراج البلغاء في البلاغة، ويسمى أيضاً كتاب «المناهج الادبية » أو منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وهو كتاب في البلاغة جعله المؤلف أقساماً كل قسم منهج وفي كل منهج فصول أو فقر تسمى : المعلم والاضاءة والتنوير على التوالي . وعن هذا الكتاب ينقل الزركشي في كتابه « البرهان في علوم » القرآن ، ومنه نسخة بمكتبة جامعــة الزيتونة بتونس ، ومنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٦٣٣١ ه . وقد نشر منه الدكتور عبد الرحمن بدوي فصلاً في كتاب « إلى طه حسين » (ص ٩١ — ١٤٦ دار المعارف ١٩٦٢) وهو الفصل هو الذي يتكلم فيه حازم عن نظرية ارسطوطاليس في الشعر والبلاغة .

واليك نماذج من آراء حازم في هذا الكتاب :

---

(١) انظر المغني : ٨٩ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

تنوير :

وانما غلط في هذا فظنّ أن الأقاويل الشعرية لا تكون إلا كاذبة ، قومٌ من المتكلمين لم يكن لهم علم بالشعر ، لا من جهة مزاولته ولا من جهة الطرق الموصلة إلى معرفته .

ولا مُعرَّج على ما يقوله في الشيء من لا يعرفه ولا التفات الى رأيه فيه ، فإنما يُطلب الشيء من أهله ، وإنما يقبل رأي المرء فيما يعرفه ؛ وليس هذا جرحة للمتكلمين ولا قدحاً في صناعتهم . فإن تكليفهم أن يتعلموا من طريقتهم ما ليس منها شطط .

والذي يورطهم في هذا أنهم يحتاجون إلى الكلام في اعجاز القرآن ، فيحتاجون إلى معرفة ماهية الفصاحة والبلاغة من غير أن يتقدم لهم علم بذلك ، فيفزعون إلى مطالعة ما تيسر لهم من كتب هذه الصناعة . فإذا فرق أحدهم بين التجنيس والترديد وماز الاستعارة من الاوصاف ، ظن أنه قد حصل على شيء من هذا العلم فأخذ يتكلم في الفصاحة بما هو محض الجهل . ومثلهُم في هذا مثل رجل شاهدتُ له هذه القصة التي اذكرها بمرسية :

وذلك أنه مرض له صاحب كان يعز عليه ويرى في حياته حياته ، ولم يكن له علم بالطب ولا تقدم نظر فيه ، ففزع في الحين الى استعارة كتب الطب والنظر فيها ليعالج صاحبه المريض . فانسلخت عنه الليلة وهو يتعاطى في غدها من المعاني الطبية ما لم يكن يتعاطاه في أمسه إذ كان قد ظن أنه قد اكتسب معرفة صناعة الطب من ليلته . ثم شرع من صبيحته في معالجة صاحبه المريض فقضى عليه في اليوم الثاني بثريدة أطعمه إياها رأى انها تصلح له .

فكما أن هـذا الرجل أصبح جالينوساً من ليلته كذلك يريد المتكلم في الفصاحة من المتكلمين أن يصبح من ليلتـه جاحظاً وُقدامـة إن شاء :

وإن كلامَ المرء ما لم تكن له حصاةٌ على عوراته لدليل

إضاءة :

وكيف يظن انسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب وهي البحر الذي لم يصل أحدٌ الى نهايته مع استنفاد الاعمار فيها ! وانما يبلغ الانسان منها ما في قوته أن يبلغه . ألا ترى أن كثيراً من العلوم قد نفذَ فيها قومٌ في أزمنة لا تستغرق إلا جزءاً يسيراً من العمر ؟ وهذا ابو الطيب المتنبي وهو امـام في الشعر لم يستقم بأولة الصناعة عشرين سنة ثم زاولها بعد ذلك زمناً طويلاً وتوفي وهو يصيب فيها ويخطىء . وهذا ليس مختصاً به وحده ، بل كل امام ناظم او ناثر هذه غايته ، إذ كانت هـــذه الصناعة تتشعب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة . فقلما يتأتى تحصيلها بأسرهـــا والعلم بجميع قوانينها كذلك ، وسائرها من العلوم ممكن ان يتحصل كله لا جله . وليس هذا تفضيلاً لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم ، إذ ليس يلزم إذا كان علمٌ أشدّ تشعباً من علم آخر ان يكون أفضل منه ، بل المفاضلة بـين العلوم من جهات أخر .

وعلى ما ذكرته فلو قدرنا أن إنساناً ذكياً ينظر في علم من العلوم شهراً أو عاماً لتحصَّلت له من ذلك العلم مسائل محققة ، ولا يحصل له في هذا القدر من الزمان من هذه الصناعة شيء يعتد به . إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع : فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع ، ويقبح في موضع ما يحسن في موضع ؛ ولا يقف الإنسانُ على تلك المواضع إلا بطول المزاولة . ولا يُشرف الإنسان على جُمل من تلك المواضع تمكنه ان يستنبط بها أحكام سواها إلا بكثرة الفحص والتنقيب عما يجب اعتماده في جميع أحوال الصناعة ، من إيثار ما يجب ان يؤثر وترجيح ما يجب ان يرجح ، بالنظر إلى الشيء في نفسه ، أو النظر إلى ما يقترن به ، أو إلى ما هو خارج عن ذلك مما تقدم التعريف به .

تنوير :

ولشدة حاجة العرب إلى تحسين كلامها اختص كلامها بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم ، فمن ذلك تماثل المقاطع في الأسجاع والقوافي ، لأن في ذلك مناسبة زائدة . ومن ذلك اختلاف مجاري الأواخر ، واعتقاب الحركات على أواخر أكثرها ، ونياطتهم حرف الترنم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها لأن في ذلك تحسيناً للكلم بجريان الصوت في نهاياتها ، ولأن للنفس في النقلة من بعض الكلمة المتنوعة المجاري الى بعض — على قانون محدود — راحة شديدة واستجداداً لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال ، ولما في حسن اطراده في جميع المجاري على قوانين محفوظة قد قُسمَتْ المعاني فيها على المجاري أحسن قسمة تؤثر في جهتي التعجب والاستلذاذ القسمة البديعة والوضع المتناسب العجيب . وكان تأثير

المجاري المتنوعة وما يتبعها من الحروف المصوتة من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس ، وخصوصاً في القوافي التي استقصت فيها العرب كل هيئة تستحسن من اقترانات بعض الحركات والسكنات والحروف المتماثلة المصوتة وغير المصوتة ببعض ، وما تتنوع إليه من ضروب الترتيب . فهذه فضيلة مختصة بلسان العرب . ولهذا قال أبو نصر[1] إن الألسن العجمية متى وجد فيها شعر يقفى فإنما يرومون أن يحتذوا فيه حذو العرب ، وليس ذلك موجوداً في اشعارهم القديمة .

إضاءة :

وانما هان الشعر على الناس هـــذا الهون لعُجْمة ألسنتهم واختلال طباعهم ، فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحركة جملة ؛ فصرفوا النقص إلى الصنعة ، والنقص بالحقيقة راجع إليهم موجود فيهم . ولأن طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضاً فرأوا أخساء العـــالم قد تحرّفوا باعتفاء الناس واسترفاد سواسية[2] السوق بكلام صوروه في صورة الشعر من جهة الوزن والقافية خاصة ، من غير أن يكون فيه أمر آخر من الامور التي بها يتقوّم الشعر ، وكأن منزلة الكلام الذي ليس فيه إلا الوزن خاصة من الشعر الحقيقي منزلة الحصير المنسوج من البردي وما جرى مجراه من الحلة المنسوجة من الذهب والحرير لم يشتركا إلا في النّسْج كما لم يشترك الكلامان إلا في الوزن . ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم وقلة العارفين بصحة دعواهم مِنْ بطلانها لم يفرّق الناسُ بين المسيء المسف إلى الاسترفاد بما يحدثه وبين المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر فجعلوا قيمتها متساوية ، بل ربما نسبوا الى المسيء إحسان المحسن

(١) اي الفارابي .

(٢) أي يستوون في اللؤم والشر .

وإلى المحسن إساءة المسيء ، فصارت نفوس العارفين بهذه الصنعة بعض المعرفة أيضاً تستقذر التحلي بهذه الصناعة إذ نجسها اولئك الأخساء واشتبه على الناس أمرهم وأمرُ أضدادهم فأجروهم مجرى واحـــداً من الاستهانة بهم . فالمعرّة لا شك منسحبة على الرفيع في هذه الصنعة بسبب الوضيع ، فلذلك هجرها الناس وحقها أن تهجر .

بيروت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤

١

قال من قصيدة * :

فتقَ النسيمُ لطائمَ الظلماءِ عن مِسْكةٍ قطرتْ مع الأنداءِ
وغدا الصَّباحُ يفضُّ خاتمَ عنبرٍ بالشَّرقِ عنْ كافورةٍ بيضاء
والكوكبُ الدريُّ يزهو [1] سابحاً في مائــه كالدرّةِ الزّهراء
وكأنما ابن ذكاءَ يُذكي مجمراً منه تُفيد الريحُ طيب ثناء [2]

* انظر ازهار الرياض ٣: ١٧٧ واختصار القدح : ٢٠
(١) اختصار القدح : يزهر .
(٢) في نسخة الاسكوريال : تهدي النواسم منه طيب ثناء .

٢

وله رحمه الله تعالى يمدح الخليفة المستنصر ، وقد افتتح قصيدته : بالنسيب :

خَيَالٌ تَجلَّى من يدٍ منه بيضاءِ دُجى ليلةٍ مثلِ الشبيبةِ سوداءِ
سرى لابساً ثوبين من شفقٍ ومن دُجىً ، وانثنى ما بين فجرٍ وظلماء
بدا بهما بينَ اسودادٍ وزُرْقَةٍ كشادخةٍ بيضاءَ في وجه خيفاء [(١)]
ولم يُشْجني بَعدَ الحبيبِ مُفارقٌ كطيفٍ أثارَ الوجدَ من بعد إطفاء
سُرِرْتُ بمَسْراهُ وباتَ على النَّوى قريباً به مِنّي مَزارُ الأحباء
ولو أوفتِ الأيامُ وانقضتِ النوى لمَا سمَحَتْ عينُ الرّقيبِ بإغفاء
شُموسٌ ترى مِنْ دونها كلَّ مُمْسِكٍ بِجِذْلِ القنا يرنو بمقلةِ حرباء
يشوقُ فؤادي ما يشقُّ عليه من شذا روضةٍ من نعمة الحَلْيِ غنّاء
وكلّ غيورٍ لا يزالُ يروعُهُ تنسُّمُ روضٍ ، أو ترنُّمُ وَرْقاء
يذودُ اللحاظَ الهيم عن ماءِ وجهه تفَتّحُ نَوْرِ الحُسْنِ منها بأرجاء
متى شاء يحْجبْها بنصل وذابلٍ وإن شاء يَحجُبْها بصلّ ووجناء [(٢)]
يُرَوّضُ منْ أحداجِها كلُّ مهمه وتبردُ من أنفاسها كلُّ رَمْضاء

---

(١) الشادخة : الغرة اذا انتشرت وسالت فملأت الجبهة؛ الخيفاء : الفرس اذا كانت احدى عينيها سوداء كحلاء والاخرى زرقاء .

(٢) يحجبها : يعني اللحاظ ، والصل : صدغه المعقرب .

على وَجْهِهِ للحُسْنِ نورٌ مضلّلٌ   قد اكتحلتْ عيناه مِنْهُ بأضواء
فلو كان نُوراً هادياً قلتُ مُدَّ مِن   سنا وجه مولانا الأميرِ بلألاء
إمام هدىً عدلٌ به الله نُورَه   أتمَّ وأبْدَى سِرَّه بعد إخْفاء
هو المالئُ الآفاق عدلاً به تَخلتْ   قلوبُ البرايا من تعادٍ وَشحْناء
غدتْ باسمهِ واسمَيْ أبيه وجدّه   مَنابرُها تزهو بأفضلِ أسماءِ
بآلِ أبي حفصٍ علا عَلَمُ الهدي   وطالتْ مباني كلِّ مجــدٍ وعلياء
إذا عُدِّدَتْ صِيدُ الملوكِ ثنى الورى   خناصِرَهم منهم على خيرِ إبداء
همُ رُحمــاءُ للمطيع وهمْ ذوو   قلوبٍ على العاصي غِلاظٍ أشدّاء
وما خُطبت إلا بِهِم دَعْوة الهدى   بآية مـــا كانوا لها خيرَ أكفاء
همُ أمّنوها فور ما قد تَحَــيَّرَت   دجاها نهوضاً واضطلاعاً بأعباء
ألا أن إرث الهدْي صار لخير مَنْ   أتاه تراثُ المجدِ عَن خيرِ آباء
لسبطِ أبي حفص وصرح علا أبي   محمـــدٍ السامي أبي زكرياء
تصوبُ بأرزاقِ العفاة له يــدٌ   تصيبُ مدى الدهرِ العداةَ بأرزاء
يُفيـــد أفانينَ المعارف شافعاً   بها ما حبا من عارفاتٍ وآلاءِ
أفاض ينابيعَ العلوم مَعِينُهُ   وأصفى فمـــا فيها مجالٌ لأقذاء
وأغنى عن الصقلِ الضرابُ سيوفَه   فمـا عَلِقتْ منها متونٌ بأصداء
نداك على العافي ، وبأسُك في العِدا   حياةٌ لأمْواتٍ ، وموتٌ لأحياء
فما يعصم الاعداءَ منك توقّلٌ   بعلياءَ تمشي دونها كلُّ عصماء (١)
كأنك إذ فُتَّ الثرّيا مكانةً   سطوتَ بكفيها خضيبٍ وجدباء

---

(١) توقل : صعود ؛ العصماء : مؤنث الأعصم وهو الايل الذي يمتنع في الجبـــال فلا ينزل الى السهول .

ورُعْتَ عَبورَ الشِعْرَيَيْنِ فلم تغر   خفوقاً وبذ السعد نورَ الغميصاء (١)
وقد قبضَ الليثُ الذراعَ فلم يَهِج   دراكاً بذي رُمْحٍ تَلاه وعوّاء (٢)
وخيلُكَ قد أنسى النعائِم خَوْفُها   شبا ذابحٍ منْ خلفهنَّ وزَوْراء (٣)
فهل خفيتْ في الصُبْحِ من خوفِ غارةٍ   على ساحةِ الخضراء منهن ، شعواء (٤)
جيادٌ إذا تغشى الدروعَ حسبتها   رعاناً تغشتها يلامِعُ بيداء (٥)
كأنك راءٍ زئبقاً مترجرجاً   على مُلسٍ أصلابٍ لهنّ وأصلاء (٦)
فكم قَذَفتْ شمسَ النهار بنقعها   وكم صدِئت مرآتها بعد إمهاء (٧)
وكم نائم قد نَبَّهتْ وبصيرةٍ   بها جُليتْ مرآتها بعد إصداء
أياديكمُ في السلم تحيي عُفَاتَكم   وتُرْدي أعاديكم لدى كل هيجاء
تقودُ إلى استئصالهم كلَّ جحفلٍ   يُوَاصلُ تأويباً إليهم باسراء (٨)
تُظِلُّ عوالي سُمْرِهِ كلَّ ضيغم   كأنْ قد أقَلَّتْهُ قوادمُ فتْخَاء (٩)
متى شاءَ لم يقنعْ من القِرن نَصْلُهُ   بغيرِ سوادِ الطَّرف أو بالسُّويداء

---

(١) عبور الشعريين : يعني الشعرى العبور ، او الشعرى اليمانية ، والغميصاء : هي الشعرى الثانية وهي التي لم تعبر البحر وانما أقامت مكانها وبكت فقد الشعرى العبور فغمصت عينها .

(٢) الليث يعني به الأسد في مصطلحات الفلك ، والذراع ذراعان : مقبوضة ومبسوطة فالمقبوضة هي اليسرى وبها ينزل القمر والمبسوطة هي اليمنى ، وذو الرمح : هو السماك الرامح وضده الاعزل ، والثاني ينزل به القمر وهم يجعلون السماكين ساقي الأسد ، والعواء : أربعة انجم او خمسة يجعلونها وركي الأسد .

(٣) النعائم : ثمانية كواكب أربعة في المجرة وهي الواردة وأربعة خارجة عنها وهي الصادرة ، والذابح هو سعد الذابح وهو كوكبان غير نيرين ويعني به هنا آلة السلاح ؛ والزوراء القناة

(٤) الخضراء : السماء .   (٥) الرعان : الجبال ؛ يلامع : جمع يلمع وهو السراب .

(٦) اصلاء : جمع صلا وهو وسط الظهر من الانسان والحيوان .

(٧) الامهاء : صقل المرآة .

(٨) التأويب : سير النهار ، والاسراء : سير الليل .

(٩) الفتخاء : صفة للعقاب .

يرى كلّ خافي مقتلٍ من سنانه بعينٍ كزرقاء اليمامة زرقاء[1]
يـُقِلُّ القنا حتى يُخَلْنَ سوامقاً تُهَصِّرُ من راياتِهنَّ بأقناء[2]
هنيئاً لكمْ ، بل للدّيانة والدُّنا وأهليهما في ظِلّكُمْ كلُّ نعماء
سما لحظُ أهل الغربِ منك لنيّر وشمْسٍ بَدَتْ من مطلعِ الشرق بيضاء
طليعةُ فتحٍ أقدَمَتْها سُعودُكم فهنّيتُمُ من بعدها كلَّ سرّاء
عَرا عُربَ إحدى العدوتين بمثله من العدْوة الاخرى مُقدّم أنباء
هَوَى عُرْبِ تلكم مِن هوى عُرْبِ هذه تَشابهت الدُّنيا توافقَ أهواء
يَقِلُّ لما يأتي من الفتح ما أتى فكم جادَ وبلٌ بعد طلٍّ وانداء
دَعا الخلقَ داعي هَدْيِكم وبدا لهم سناكمْ ، فكلٌّ ذو التفاتٍ وإصغاء
بـدا منكمُ نورُ الإله متمماً فأشرق من طيٍّ الضلوع بأحناء
ترفّعَ عن لحظِ العيونِ وخولت بإدراكه من دونها كلَّ حوباء
من الجانبِ الشرقيّ نودي كلُّ مَنْ على الأرض من دانٍ سعيدٍ ومن ناءِ
كما أسعد اللهُ ابنَ عمرانَ إذ سرى إلى الجانبِ الغربيِّ منْ طورِ سَيْناء
هو النورُ نورُ الله مُتّحدٌ وإن تعدّدَ في شتّى عصورٍ وأنحاء
تعوَدتَ أنْ تُنْسِيِ بجُودكَ في النّدى على فضلِ ما أسْلَفْتَهُ ، كلَّ أنداء
وكم ببّغا كانت بهجر جُنْدَبٍ فآضتْ بنعماكم مغرّدَ مُكّاء
فدامَ تَحامي الدّين منكم [على المدى] بأبيض قضّاب وبيضاء قضّاء[3]
ودمت لِدُنْيا المؤمنين ودينهم مؤيَّد راياتٍ ، مُسدَّد آراءِ

(١) زرقاء اليمامة : مضرب المثل في حدة البصر ، انظر ديوان الاعشى : ٨١ – ٨٢
(٢) الاقناء : جمع قنو وهو العذق بما فيه من الرطب .
(٣) قضاب : يعني به السيف ؛ القضاء : الدرع التي فرغ من عملها وأحكمت .

٣

وله رحمة الله عليه :

أترى اللّوى نشرتْ عليّ لواءها   سُحُبٌ تشقُّ بها البروقُ مُلاءَها
وتجــودُ ساحتَهُ بكلّ مقلّدٍ   أزهارها ، ومعطّــلٍ جرباءها (١)
فتنوبُ عن عيني وتُغني عَيْنُها   في سَقْيِ أطلال الحبيبِ عَماءَها (٢)
منْ كلِّ بكرٍ حرّةٍ ما فارَقت   إطراقَها وبكاءَها وحياءَها (٣)
يبدو احمرارُ البرق في صفحاتها   خَجَلًا إذا رفعَ النسيمُ رداءَها
تبدو الرُّبى خُضْراً وكانت قبلها   عُفراً إذا سَفَحَت بها أنواءَها
وإذا تمرُّ بروضةٍ معتلّةٍ   ضمِنَ انبراءُ بروقها إبراءَها
ومتى تزُرْ عفراءَ أرضٍ تبْكِها   كبكاءِ عُروةِ عُذْرَةٍ عفْرَاءَها (٤)
تسْقي مَغانيَ لم تفارقْ وحشةً   أطلالهَا مُنذ فارقتْ أطلاءَها
وبمهجتي من ذلك السّرب الذي   حلَّ الجوانحَ وارْتمى أفناءها
ثُعَليّةٌ الألحاظِ لما ان رَنتْ   أصمَتْ فؤاداً لم يُطِقْ إصماءَها (٥)
أذكى الحيـاءُ بوجنتيها نارَهُ   حيث الشبيبةُ قد أسالتْ ماءها

---

(١) الجرباء : الأرض المحلة المقحوطة ، والمطر يعطلها أي يزيل عنها المحل .

(٢) العماء : السحاب المرتفع أو الكثيف .

(٣) بكر حرة : يريد السحابة .

(٤) تزر : يشير الى السحابة ، عفراء : مغبرة ؛ وعروة هو ابن حزام العـذري وصاحبته عفراء .

(٥) ثعلية : منسوبة الى بني ثعل وهم مضرب المثل في الرماية .

خَجِلتْ وأدْنَت كفَّها من خدها   فحسبتُها مخضوبةً حنّاءها
وتكلّلتْ وتنطّقَتْ وتقرّطتْ   فحكى تلألؤُ آلها لألاءَها
تتطلّع الجوزاءُ في إكليلها   ونِظامِها والشِّعْريانِ إزاءها (١)
أتْبَعْتُها إذ ودَّعتْ بتحيّة   مثلَ التحيّة تقتفي جوزاءها
حكتِ الغزالةَ والغزالَ بلحظِها   وبجيدها ، وبإلفِها بيداءَها
شِيَمُ البوارقِ شيمةٌ من أهلها   فإذا رأوها يمّموا أنحاءها
عُرْبٌ بدينِ الشُّهْب دانوا في الهُدى   وعلَوْا بأفقِ المعْلواتِ علاءها
من كل معتاض البدا من دارِهِ   دارا إذا ما الدّارُ ملّ ثَواءها
يرتادُ أبكارَ الرّياضِ بقومه   وبقوله متخيّراً أكلاءها
كم بيتِ شعرٍ قد ثناهُ مقوضاً   وبيوتِ شعرٍ قد أقام بناءها
يرضَوْن إقواءَ البيوتِ وإنْ هُمُ   نظموا البُيُوتَ تجنّبوا إقواءَها (٢)
بانُوا بكلِّ قضيب بانٍ ناضرٍ   سقتِ النواظرُ زهرَهُ أنواءها
قُضُبٌ منعّمةٌ ممتّعة الجنى   قد ظللتها قُضْبُهُمْ أفياءَها
تجني نواظرُها على من يجتني   أنوارَها أو يجتلي أضواءها
كانت ظلالُ وصالها تندى فقد   أحمَتْ هواجرُ هجْرِها رمضاءها
قد كانت الأيّام تسمحُ بالمنى   وتُنيل قبلَ سُؤالِها أنواءها
حتى اقتضتْ شِيَمُ التنقُّل أن ترى   مسترجعاتٍ رِفْدَها وحِباءَها
وتعاقُبُ الأضدادِ يقضي أنها   ستُديلُ من ضرّائها سرّاءها

---

(١) الشعريان : الشعرى الغميصاء والشعرى العبور .

(٢) التورية في كلمة « اقواء » فالأولى في الصدر بمعنى دثر ودرس ومنه قول عنترة « أقوى واقفر بعد أم الهيثم» والثانية اجتناب الاقواء في القافية وهو اختلاف حركة الروي ، ويعدونه عيباً .

والدّهر نقلته وإن هي كدَّرت ... شُرْبَ النفوسِ ، فقد تُتيحُ صفاءها

فيسوءها طوراً بما قد سرّها ... ويسرّها طورا بما قد ساءها

فترجٌّ من عطفِ اللَّيالي كرّةً ... فلكم جلتْ بسرورها غمَّاءها

كيف السّبيلُ إلى وِصال بخيلةٍ ... منعتْ لقاءَ خيالها ولقاءها

ضنَّتْ فأعيت في الضنانة بالذي ... سُئلتْ وأعْيا طيفُها إعْياءها [1]

لَوْ قدْرَ ما بخلتْ تجُود حكتْ ندى ... كفّ الأمير محمدٍ وسخاءها

مَلِكٌ كسا الإسلامَ ثوْبَ نضارة ... بظبا أطاحتْ كفُّه أعداءها

ومضت عزائمُهُ إلى أعدائهِ ... صُدُقاً فأمضى المرهفاتِ مضاءها

كم ذَلَّلتْ عرباً وعُجْماً خيْلُهُ ... إذ ظلَّلتْ بعجاجِها صحراءها

تذرُ الجماجمَ ان عصَتْ مثل اسمها ... وتُديرُ في أرجائهم أرحاءها [2]

جابتْ الى الأعْداءِ كلّ تنُوفةٍ ... وطوَتْ الى أعدائها عُدَواءها [3]

لو يمّمَتْ حجْراً عدا عن أن ترى ... تلك الكتائبَ نقْعُها زرقاءها [4]

ليحت فلاحت كالأهلّةِ رِقّةً ... سلب التقهقرُ والمُحاق ضِياءها

أو كالقسيّ العُوج أحْكم عطْفَها ... صَنَعٌ تخيّرَ نبْعَها وسَراءها [5]

ترْدي بكل مُشمّرٍ يُردي العِدا ... طعناً ويفري سَيْفُهُ أعضاءها [6]

---

(١) أعيت : أعجزت ؛ وأعيا طيفها : عجز وضعف .

(٢) الجماجم : من معانيها الأقداح الخشبية أي تدع الجماجم فارغة أو مطرحة .

(٣) التنوفة : القفر من الارض ، العدواء : أرض يابسة صلبة .

(٤) حجر : مدينة اليمامة ، ونقعها فاعل للفعل عدا . والاشارة الى قصة زرقاء اليمامة وان تلك الكتائب لو قصدت اليمامة لكان نقعها – أي غبارها – الكثيف يحول دون رؤية زرقاء اليمامة لها على ما لديها من حدة البصر .

(٥) الصنع : الصانع اللبق ؛ النبع : شجر تؤخذ منه السهام ، السراء : شجر واحدته سراوة ، وقال أبو عبيدة : من كبار الشجر ينبت في الجبال وتتخذ منه القسي العربية .

(٦) تردي : تمشي الرديان .

سفحوا دمـــاءَ عُداتهم بصفائحٍ   وليَ الجِـــلادُ صِقالَها وجلاءها [(١)]
لم تُمْضِهايدُ صَيْقَلٍ مُنذُاغْتَدى   وَصْلُ الضِرابِ مواصلاً إمضاءها
صُقِلتْ بضَرْبٍ قد أبىأنتكتسي   أغمادَها أو تكتسي أصداءها
طالتْ هوادي خيلهم فكأنهـــا   نخلٌ غــدا أسلُ القنا سُلاءها [(٢)]
مَلَؤوا صدورَ عُداتهم خوفاً بها   إذ خالطوا بصدورها أحشاءها
كانت بألسنة الصوارم عُجْمَةٌ   فاْستَنْطَقتْ أيديهُمُ عَجْماءها
خطُّوا حُرُوفاً في وجوه عداتِهمْ   ولَيِّتْ حُرُوفُ المرهفات سَحَاءها [(٣)]
جعلوا القنـا أقلامَهم ، وطروسَهُم   مُهَجَ العدا ، ومدادهنَّ دماءها
لم تقرأ الكتاب أحرفها التي   قــد أصبحت كُتّابُها قرّاءها
وأظن ان الأقدمين لذا رأوْا   أن يجْعَلوا خطيـــةً أسماءهـا [(٤)]
جيشٌ تُعَضِّلُ منه كلُّ مفازةٍ   ويُغِصُّ بالجُرْد العِتاقِ فضاءها [(٥)]
سالت رعان الذعرِ منها عندما   هالتْ سنابكُ خيلها صَفواءها [(٦)]
وقضتْ بفرقةِ فرْقَـةٍ عَصَتِ النُّهى   في أمرهـــا إذ طاوعت أهواءها
خمــدوا بوقدة جمرة الحرب التي   هاجتْ شرارةُ شرِّهمْ هيجاءها
ما واجهوا بشبا الوشيجِ وجوهها   حتى اقتفوا بسيوفهم أقفاءهـــا

---

(١) الصفائح : السيوف .
(٢) الهوادي : الأعناق ؛ السلاء : شوك النخل ، واحدته سلاءة .
(٣) السحاء : القشر والكشط .
(٤) دعوا الرماح خطية ، لأنها تخط في وجوه الاعداء كالاقلام .
(٥) تعضل : تنشب به كما ينشب الولد في بطن امـــه ، وهـــو من قول أوس بن حجر (ديوانه : ١٢١) :
ترى الأرض منا بالفضاء مريضة   معضلة منا بجمع عرمرم
(٦) الصفواء : الحجر الاملس .

صبّحتهم بسوابــــحٍ كسوائح ... أضحى مُراقُ دم العدا دأماءها (١)
أطفأت بالهنديّ شعلة فتنةٍ ... أضحى حُسامكَ حاسماً أدْواءها (٢)
لم تُصْدرِ الأرماح إلا بعد ما ... أرْويتَ من قُلُبِ القلوب ظماءَها (٣)
وكتائب أصليتَ نيران الظبا ... وشبا القنا إذ أدْبرَتْ أصلاءها (٤)
وتجللت بالنبل أدرعُ خيلهــــا ... مثل السيول الحاملاتِ غشاءها
من كل سابغـــة الذيول حصينة ... جَــدلاء أحكمَ قينُها إنشاءها (٥)
بلغَ النهاية في التـكاثف سردُها ... فأتتْ كما وشّى الرّياحُ نِهاءَها (٦)
يهدي هواديها الى أرض العدا ... مَلكٌ لِصَيْدِهمُ أعـــدّ عداءها
خيل غنين بصيد آساد الشرى ... عن أن تصيد بها المها وظباءها
يصل الجهادَ بهــا ويُبْصِر راحةً ... للنفس فيها جُهدَها وعناءَها
كم ردّ أرض عِداه بحراً من دَمٍ ... وأصارَ أرضاً بالعجاج سماءها
أذكىْ لِعَيْنِ الخلقِ عينَ كلاءةٍ ... ساوى سهاداً صُبْحُها إمساءَها
عين قد اكتَحلَتْ بنور الحقّ لم ... تؤثر على يَقَظاتِهــــا إغفاءها
تُغضِي عن الجاني فيحسب أنهـا ... ليست بيقظى من يَرَى إغضاءها
فاذا رأتــه أساء سهواً وارعوى ... أبقتْ عليــه فأحسَنتْ إبقاءها
ليست تسيء الى المسيء وطالمـا ... قد أحسنتْ للمحسنينَ جزاءها
فعلى كلا الحـالين شيمة فَضْلِهِ ... تُسْدي وتَمْنَحَ دائمــاً نعماءها

---

(١) الدأماء : البحر
(٢) الأدواء : الأمراض .
(٣) القلب : جمع قليب وهو البئر
(٤) أدبرت أصلاءها : ولت أدبارها .
(٥) سابغة الذيول : يعني الدرع ، جدلاء : محكمة الجـــدل ، والقين : الحــداد صانع الدروع وغيرها .
(٦) النهاء : الغدران ، شبه بها الدروع في كثافتها وتموجها .

أنسى حِجاهُ وعلمُـهُ وعطاؤه … حِـلمَ الملوك وعلمَها وعطاءها
نجلُ الهمام المرتضى يحيى الذي … لبّى العلا إذْ أَسمعته نداءها
سِبطُ الهُمام أبي محمّدٍ الذي … أفنى العداة معاوِداً إفناءَها
نجل الرضى الهادي أبي حفص الذي … َنصَرَ الهِدايـة قاهِراً أعداءها
زَخَرَت براَحتِه بِحارُ سماحةٍ … ما أحْوَجت لِوَسيلةٍ مَنْ جاءها
فاذا رأت هِيمُ الأماني نوءَها … َغنِيت به عن أن تمُدَّ رِشاءَها [1]
كفٌّ تكفُّ أذى العدوّ ، وكفّهُ … قبضاً ، وتبسطُ للعُفاةِ رجاءها
بِكمُ أتمَّ الله أنوارُ الهـدى … إذ حاولتْ أيدي العدا إطفاءها
إنَّ الإمامة غيرُ عادمةٍ بكم … إعـلانَ دعوتها ولا إعلاءها
سيكونُ في أخرى الليالي َختْمُها … بكمُ كما قد كنتُمُ إبداءها
فلأنتَ أكرمُ مجتبىً من َصفْوةٍ … شادتْ على أسر العدا علياءَها
أوصت لهـا آباؤها بمكارمٍ … وفضائلٍ أوصت بهـا أبناءها
هم إخوةُ الهادي لأمّته التي … بالغَرْبِ قد سمّاهمُ غرباءها
قاموا بأمر هدايـة قد طابقت … قولَ النبيّ ووصفَهُ أنباءهـا [2]
نهضوا بدعوتها التي حملوا على … أيدي الغَنـاء وأيّدوا أعباءها [3]
فأَنرْتَ ما أسدَوهُ من أثوابها … وأنرتَ من أضوائِهـا ظلماءها [4]
فإذا رأت َمن أمّهم َخلفاً ، ولا … أعني سواك ، تذكّرتْ ُخلَفاءها

(١) الهيم : العطاش ، النوء : المطر أو ما يبتعثه . الرشاء : الحبل .
(٢) يشير الى قول الرسول (ص) : « لا يزال أهـل المغرب ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » . أخرجه مسلم في صحيحه ، انظر ابن عذاري ١ :٦ ورياض النفوس ١ :٣
(٣) الغناء : الكفاية وحسن التأتي في الأمور ، ولعلها أن تقرأ : الفتاء أي القوة والشباب والأولى أصوب .
(٤) أنرت من انارة النسيج ، أي وضع اللحمة في مقابل السداة ، وأنرت الثانية من النور.

أعلى الإله بكم معالم دينِهِ   وأزانَ بهْجتَها بكم وبهاءها
وأراك في الدنيا ُمرادَكَ كلَّهُ   حتى يُطبّقَ أمرُكم أرجاءها
وأدام دعوتَكَ السعيدة ناصراً   راياتِها ومسدّداً آراءها
والله يُبقي باتصالِ بقائكمْ   ودوامِ نصرِكَ نصرَها وبقاءها

٤

وله ايضاً

١ دعـــوتَ فلبَّى أمرَكَ الشرقُ والغرب
وأصغتْ لداعي هَدْيكَ العُجْمُ والعُرْبُ
٢ وجاءتْ ملوكُ الأرض نحـــوك خُضّعاً
يقودهمُ رعبٌ ويحـــدوهم رَغْبُ
٣ كأنَ جميـــع الخلـــق جسمٌ مُدَبّرٌ
ورأيك فيـــه الروحُ والنفس والقلبُ

٥

[وقال]

حكمَتْ سعودُك أنَّ حزبَك غالبُ … والنصرُ عنكَ مكافحٌ ومحاربُ
وإذا امرؤٌ أضحى مُطيعاً سامعاً … لكَ لم يَضِرهُ مُكايد ومُناصِب [1]
فيعزُّ جانبُ من أطاعَكمُ، ومَنْ … يَعْصيك لم يَعتزَّ منه جانب
أغناك عن ضربٍ وطعنٍ في العدا … سَعْدٌ يطاعِنُ عنكمُ ويُضارِب
في كلِّ يوم تنتحيك بشائرٌ … وصنائعٌ مربوبةٌ ومواهب [2]
وأجلُّها صُنْعٌ حباك بفضله … واختصّك اللهُ الكريمُ الواهب
فَتْحٌ لك الإقبال منه، وللعدا … مَقْلوبُه حتم عليهم واجب [3]
أعطاك إقليد المغارب، فافتتح … سَعدٌ يؤازرُهُ حسامٌ قاضِب
فالغربُ باب فتوحِهِ متفتّحٌ … لك، لم يُعِقْ عنه سعودَك حاجب [4]
أضحى عمادُ عميده متعبِّداً … قد فُلَّ غرباه وجُبَّ الغارب
وكفى القتالَ الناس[ ][5] السرى … سعدٌ رماه منه سهمٌ صائب
أنحت عليه عصابةٌ والتكمُ … ونحته من صرفِ الزمانِ نوائب

---

(١) مناصب : يناصبك العداوة .
(٢) مربوبة : قد أحسنت العناية بها .
(٣) مقلوب « فتح » هو « حتف » أي موت .
(٤) حاجب : حاجز ومانع .
(٥) بياض بالأصل .

لم يُشْهِرِ الصمصامَ يوم كريهةٍ   إلا وقابلـه غرابٌ ناعب
ينعَى الصليبَ وحامليه وكلّ من   والاه حتى نفسَهُ هو نادِب
بالقلعة اقْتُلِعُوا وضاعف وجدَهُمْ   في وجدةٍ ليلٌ طويلٌ ناصب[1]
هبت بكانونٍ له ريحُ الرّدى   صدراً ، وصاب عليه منها حاصِب[2]
قد كان عاجلُ هُلْكِ كانونٍ له   فألاً بـه قد خاطبته أخاطب[3]
هيهات تبقى قطعةٌ من حِنْدسٍ   وصباحُ هَدْيكَ مستنيرٌ ثاقِب
انت الإمامُ المستبينُ لنا بـه   نهجُ الهداية والسبيلُ اللاحب[4]
فلئن تقدّمك الملوك فمثلما   يتقدمُ الإصباحَ فجرٌ كاذب
فلأنتَ بحرٌ والملوكُ جداولٌ   ولأنتَ شمسٌ والملوك كواكب[5]
تتأرّج الدنيا بذكرك نفحةً   فكأنما ذكراك روضٌ عازب[6]
أبداً يروع . . . .   غيث ساكب[7]

---

(١) وجدة : مدينة بالمغرب .

(٢) صدراً : أي استقبلته بهبوبها ؛ والحاصب : الريح تأتي بدقاق الثلج والبرد .

(٣) الأخاطب : جمع أخطب وهو الشقراق أو الصرد وبصوته يتفاءل ويتشاءم ، قال الشاعر :

ولا أنثني من طيرة عن مريرة   اذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا

(٤) السبيل اللاحب : الطريق الواضح .

(٥) من قول النابغة :

وانك شمس والملوك كواكب   اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(٦) الروض العازب : بعيد المطلب لا تناله الابل وغيرها ولا تطرقه .

(٧) بياض بالاصل .

٦

[وقال]

أَجدَّتْ بِمَنْ أهوى بكوراً ركائبه ؟   فلَيلي مقيمٌ ليس تسري كواكبُه
كأنَّ بشُهْبِ الأفق ما بي فكلُّها   يحاذرُ أن تخفيه عنه مغاربه
تطاولَ ليلي عندما شطّتِ النوى   بمَنْ بسناهُ كان تُجلى غياهبه
حبيب نماهُ للغزالةِ لحظُهُ   ولكنْ سناه للغزالة ناسبه [1]
يهيج الجوى عَن عارض مثل عارضٍ   حياهُ وبرق خالب ليَ خالبه [2]
وصفحة خدٍّ تنبتُ الوردَ ناضراً   لتحرسه باللحظ ، واللحظُ ناهبه
فأغضبه من نظرةٍ ردَّ طرفها   إليه بأُخرى ضعفَ ما هو غاضبه
وفرعٌ عليها أرسلَ الصدغ مثلما   تدبُّ بروضٍ تحت ليلٍ عقاربه
ويؤنسه صدرٌ خلا من فؤاده   كما أنَّسَ الظبيَ المروعَ سباسِبه
يزيدُ بدمعي روضُ خدّيهِ نضرةً   كما علَّلتْ وردَ الرياضِ مثاعبه
رمى مهجتي يومَ استقلّت حمولُهُ   بلحظٍ غدا يُخفيه ممن يراقبه
[. . .] كاذب الوعدِ بالمنى   ولكن بنوءِ الدمع يصدقُ كاذبه
[. . .] صدر على النوى   إذا الدهرُ نابتْ بالبعادِ نوائبه
وكم أوهم [العذال] في الحب سلوةً   فأقصر لاحيه عليه وعاتبه
[. . .] عن هوى بل تحملٍ   يُنَهْنِهُ دمعي أن تفيضَ سواكبه

---

(١) الغزالة الثانية : الشمس.

(٢) العارض الاولى : صفحة الخد ، والعارض الثانية : المطر .

أَلِفَتُ نوى مَن قد هَوِيت فلم أجدْ   عليَّ سبيلَ الصبر صعباً مراكبه
ورجّيت فيه الدهر من حيث خفته   كذا الدهرُ مخشيٌّ تُرَجَّى عواقبه
وكنتُ إذا فارقتُ إلفاً مُصافياً   أُصافي اصطباري بعده وأُصاحِبه
وللصّبرُ في كل الأمور مآلُ مَنْ   أرَتَهُ مَغبّاتِ الأمور تجاربُه
ومن عاتَبَ الأيامَ في نأي خلةٍ   فهيهات يوماً أن تبينَ معاتبه
ومن يَدْنُ من دار الخلافةِ لم يُبَلْ   كمن قد تناءتْ دارُهُ وملاعبه
إمامٌ سعيدٌ من يسالِمُهُ لم يَزَلْ   سعيداً ، ولكنَّ الشقيَّ محاربه
مغانمه تُربي على الشهب والحَصى   وأكثر من هَذِي وتلك مناقِبه
له عزماتٌ ليس يبلغ في الدنا   مداهُنَّ الا جودُهُ ومواهبه
فقد ملأتْ كلَّ الأكفّ هباتُه   وقد ملأتْ كلَّ البلاد كتائِبه
أبو زكرياءٍ سراجُ الهدى الذي   تودّ الدراري في العلا لو تصاقبه
سلالةُ عبدِ الواحدِ الأوحدِ الذي   لعليا أبي حفصٍ نمته مناسبه
تراثُ الهدى من منجبٍ بعد منجب   مهذبةٌ صارت إليه أطايبه
وأولى امرىءٍ أن يورث الهَدْيَ عنه من   أبوه حواريُّ الإمامِ وصاحبه
له العلم والعليا ، له الحلم والحجى   له الجود تهمي بالنُّضار سحائبه
ومن دون ما قد روّضَتْ سُحبُ جوده   ونعماه مما روّضَ الحَزْنَ عازبه
يُهابُ ولم يعبس ، ويُرجى مقطّباً   فراهبه راجٍ ، وراجيه راهبه
مُهايِبُهُ يَرْجو عوائدَ حِلمه   وراجيه من عُظمِ الجلالة هايبه
غمامٌ يصافيه العفاة وفي العدا   صواعقُه مُرفَّضة وحواصبه
فتقبضُ آمالَ العدا سطواتُهُ   وتبسطُ آمالَ العفاةِ رغائبه
فيُضْحِي بها العافي يهلُّ بشيرُهُ   ويُمسي بها العاصي ترنُّ نوادبه
وكم أغرقَ الأعداء في لُجِّ بحره   طوامحُ ، أعراف الجياد غواربه
إذا الأُسدُ هزّتْ فيه غيل القنا اغتدت   خواطرَ في طيِّ الضلوع تغالبه

هنيئـــاً لِدُنـْيا المؤمنين ودينهم   بأنك منصورٌ على من تُحاربـــه
سيفتحُ أقصى الغربِ والشرق عَنوةً   لكمْ كلُّ ماضي الضرب عضبٌ مضاربه
كأنّ غراب الغرب والشرق قد هوى   مهيضاً جناحاه وقد جُبّ غاربه
وراع أبا البيضاء فيـــه وحزبَهُ   بني أصفرٍ جيشٌ تجيشُ مقانبه [1]
بكلّ فتى ينقضُّ صقراً على العدا   ولكنَّ أمطاء الجياد مراقبه [2]
هِزَبرٌ ترى من دِرْعِه لبَداً له   ولكنّ أطراف العوالي مخالبه
إمام الهُدى هُنّيتَ وليهنأ الورى   بعيدٍ ، أعادَ الدهرَ غضّاً شبائبه
ترحّل شَهْرُ الصّوم عنك مودّعاً   وقد مُلئتْ من كلِّ بِرٍّ حقائِبه
وجاءك شهر الفِطر واليُمْنِ ،والمنى   ترجّيه ، والجدُّ السعيدُ يواكبه
ولما بَكـَرْتـُمْ للمصَّلى تلألأت   بأنوارِكم ساحاتـُه وجوانبه
ذَكتْ حينَ حيّتكم نواسِمه شذىً   فضاعت صَباه مندلاً وجنائبه
فلله سعيٌ [. . .] بمثـله   وحاز به الاجر المضاعفَ طالبه
ولحت ونورُ العيد يسعى أمامكم   فيُهدي ضياءً يمـلأ العين ثاقبه
رأى الناسُ بدراًمنكَ قدأحدقت به   كأحداق هالات البدور مواكبه
ولمـا قَضَوا حقّ السلام عليكم   وقضّيَ من تقبيل يُمناك واجبه
أربَّ عليهم من سماء سماحكم   غمامٌ مليٌّ ليس يُقلعُ ساكبه
فأدّتْ لكلّ الخلق شكرك أنعمٌ   بغير لسانٍ ذي خطابٍ تخاطبه
أمـانٌ ضفتْ للمسلمين ظلاله   وجودٌ صَفَتْ للآملين مشاربه
أبانَ سبيلَ الحق هديُك بعدما   عَفـَتْ ـ مثلما تعفوالطلولُ ـ مذاهبه
أرى الناس منهاج الرشادِ فأوضعوا   على سَنَنٍ يهدي الى الحقّ لاحبه

---

(١) ابو البيضاء : الغراب ، بنو الأصفر : الروم ، المقانب : جمـع مقنب وهو القطعة من الجيش .
(٢) أمطاء : ظهور ، مراقب : جمع مرقب وهو مكان الرقابة .

فَمنْ يركبِ النّهج السويَّ صراطه   فأجْدِرْ بأنْ يهديه ما هو راكبه
ومن كان في ليل الضلالة حاطباً   فأخْلِقْ بأن يُرديه ما هو حاطبه
أنالَ بـه الله الخلافة كفؤها   وزان بذاك المفرق التاجَ عاصبه
تكاملَ فيه الفضلُ وانتهتِ العلا   تبـاركَ مُعطيه الكمال وواهبه
فأمّن من نقصٍ كمالُ جـلالِهِ   ولا بَرِحَتْ ترقى صعوداً مراتبه

٧

وله ايضاً رحمه الله

لكَ الحمدُ بعدَ الحمـدِ لله واجبُ   فمنْ عنده تُرْجَى ومنك المواهبُ
وطاعتكمْ منْ طاعـــة الله لم يزلْ   لها منهجٌ يَهْدي الى الحق لاحب
وما زلتَ للاسلامِ والدين حُجَّةً   وعزٌّ حمىً للمسلمـــين وجـانب
وساعـــدهم فيما يشاءون دهرُهم   فقد يُسِّرَتْ للطالبـين المطالب
وقد أدرك الراجي بحضرتك المنى   وقد أُحضِرَتْ آماله والمـآرب
جلبتَ له الأمواه حتى تفجَّرَتْ   مشارعُ منهـا جَنَّةٌ ومشارب
لكلِّ امرىءٍ فيها من الماءِ قِسْمَةٌ   وشربٌ كما كانت لقحطانَ مارب
مواردُ أضحى القَيظُ حيث تَبَجَّسَتْ   ربيعاً وآضتْ كالشمال الجنـــائب
فرَّقتْ وراقت حولها كلُّ صنعـــةٍ   يناسبها زَهْـــرُ الزبى وتناسب
مصانعُ فيها أغرب الجودُ والندى   فما ٱستُغْرِبَتْ من بَعْدِهِنّ الغرائب
سمت وسطها بيضُ القبابِ وأحدقت   قبابٌ بها من سندسٍ ومضارب
قبابٌ من الدَّوْحِ المنيف تهـدلت   لهنّ أعـــالٍ بالجنى وجـوانب
عَلَتْ وَضَفَتْ أطنابها فتهدَّلت   على صَفحاتِ الماءِ منها هَيَادِب
تبلـــج في شرقي جامـــع تونس   بهـــن ضياءٌ يملأ العـــينَ ثاقب
وأشْرق نورُ الحســـن منه بمشرق   فما نوره — بعد التطلع — غارب
أُقيمتْ عليه من رخـــام ومرمر   قسيٌّ اقامتهـا ٱلأكفّ ٱلدّوارب
قسيٌّ قد ٱصطفَّتْ فراقَ ٱنتظامُها   كما راق نظـــمُ اللؤلؤ المتناسب
وَزينَتْ بألوانٍ تَروق كما ٱكتست   بأوشيَة الزهر الرياضُ العوازب

لقد جاءَ عصرٌ فيه قُدِّرَ كونُها بما قصَّرتْ عنه العصور الذواهب
ولم تُهْدَ أملاكُ الزمان لما اهتدت من الرُّشد آراء الأمير الصَّوائب
تداعى إليها الناسُ من متعجبٍ وداعٍ ومُثنٍ بالذي أنتَ واهب
تَوارَدُ أيديهمْ عليها كأنها وروداً قطا البيدِ الظماءُ الشوارب
وتصدر عنها مُترعاتٍ سجالها كما صدرت عن راحتَيْكَ الرغائب
مياهٌ كسلسالِ الرُّضاب يحفّهُ رُخامٌ لمبيضِّ الثغور مُناسب
فكم أبيضٍ ما شانَهُ لونُ كُدْرةٍ على أزرقٍ ما كدَّرته الشوائب
وما بين ما قدْ سال في الحسنِ منهم وما لم يَسِلْ الا مدىً متقارب
تساوى بسيطٌ منهما ومركَّب صفاءً بدا في الحسن عن ذاك نائب
فتحسب ان الذائباتِ جوامدٌ وتحسبُ أن الجامدات ذوائب
تحسَّنتِ الدنيا بكم فكأنَّها عروسٌ عروبٌ في المنصّةِ كاعب[1]
وكم حَرَمٍ في ظلِّ عدلك آمنٍ لذروته تُحْدَى القلاصُ النجائب
مقامٌ حكت دارَ المقامة داره فما شابَ فيها خالصَ العيش شائب
تحطُّ بها الآمالُ حين تؤمُّهُ وإن هي آبتْ أثقلتها الحقائب
فأصبح فيها الناس في خير عيشةٍ تُثيبهمُ الدنيا ، وليست تعاقب
يسحُّ عليهم كلَّ يومٍ وليلةٍ وليٌّ ووَسْميٌّ من الجود ساكب[2]
فقد أمَّها الأُمَّالُ من كلِّ وجهة وحُثّتْ بهم قصداً إليها الركائب
فقَرُّوا ، وقرُّوا أعيناً حينَ عرَّسوا بدارٍ نأتْ عنها النوَى والنوائب[3]
وحسَّنها جودٌ يسيلُ ونائلٌ وحصَّنها رُمْحٌ يصولُ وقاضب
وطوَّقها جودُ الأمير قلائداً تحلَّتْ بها أجيادُها والترائب

(١) العروب : المتحببة الى زوجها .
(٢) الوسمي : اول المطر ، والولي : المطر الثاني .
(٣) عرسوا : نزلوا وأقاموا .

فكم أحدقتْ من روضـــةٍ وحديقةٍ بها لذيولِ السحبِ فيهـا مساحِب
وتلك العقود المحدقـــات بجيدها حدائقُ للأحداق فيهـــا عجائب
وكم سَرْحَةٍ فيهـــا تحلّتْ بزهرها كما تتحلّى بالُجمـــان الكواعب
وَموْلِيَّةٍ فيهـــا تصيح بلابلٌ وَموْشِيَّةٍ فيها تسحُّ مذاهب[1]
يروُقك أَيْكٌ حولهـــا متجاورٌ يشوقك طيرٌ فوقهـــا متجاوب
فأضحت تناغَى فوقهـــنَّ سواجعٌ وقد طال ما صرَّتْ بهنَّ جنادب
وكم قد سطرتم حولهـــا من كتيبـة كانسّق الأسطار في [الطرس] كاتب[2]
فتُعزْىَ إلى أيوبَ أوقى دروعِهمْ ولم يعزُها يومـاً لِداوُودَ ناسب
تغصّ بها الهيجاء طـــوراً وتارةً تغصُّ ميـــادينٌ بهـا وملاعب
حميتَ ذمـــارَ المسلمين ولم تزلْ تُطاعِنُ عنْ دينِ الهدى وتضارب
بكـُلِّ قناةٍ تقتري عَلَق العـــدا وكلّ حسامٍ منه تدْمَى المضارب
ومجر حـديدٍ طالمـــا ظللته من بنودٍ، ومن نقعٍ، وطيرٍ، غياهبُ
وتحت مُثـار النقْع آساد غـــابةٍ لهـا من نصولٍ سمهريٌّ مغالب
ضراغمُ هيجاءٍ يهونُ لدى الوغى عليها صداها حينَ ترْوى الثعالب
كماةٌ أطالوا ألفة البيضِ في الوغى فشابَتْ ظباً منها، ومنهم ذوائب
قد أدّرعوا فـــوق الدروع قلوبهم وصبرَهُمُ، والصبرُ نعمَ المصاحِبُ
وكيف بِأَنْ تخْطِي المَقاتلَ سُمْرُهم وقد سدَّدْتهُنَّ الأكفُّ الدوارب ؟
وقد قويت أيدٍ لهـــا وسواعدٌ كما قويتْ أعضادها والمناكبُ
تريك القَنـا رقطاً اذا ما نصَبْتها إلى الطّعن فهي الراقطات النواصِب
قنـا موجباتٌ ما سلبن عن العدا لعلياك، فهي الموجباتُ السّوالب[3]

---

(١) مولية : سقط فيها الولي من المطر .
(٢) بياض أكملناه بما يتمم المعنى .
(٣) موجبات : فاعلات على التحقيق ، ثم أشار في الموجبات السوالب الى القضايا المنطقية .

سَماكُمْ سماءٌ للعُـــلا ووجوهكم   شموسٌ وأَقمارٌ لهـــا وكواكب
وقـُدْتُمْ جَيوشاً للمهابة، بأُسُكُـمْ   دروعٌ وخرصانٌ لها وقواضب (١)
وكم معقلٍ دارتْ عليه جيادكُـمُ   وأوفتْ كما أوفى على العينَ حاجب
وكم سَبْسبٍ أضْحَى بها وهو عامرٌ   وكم عامرٍ غادرن وهو سباسب
لقد غلبَ الأعداءَ مَلْكٌ مؤيدٌ   تسامت بعلياه عَديٌّ وغالب
امامٌ سعيدٌ جَدُّهُ مثلُ جَدِّهِ   فذا غالبٌ حقاً وذلك غالب
سليلُ الرضى المنصورِ يحيى الذي سمت   مراقٍ إلى العليـــا به ومراقب
إلى أبَوَيْ حفصٍ نَمَتْهُ أرومةٌ   تسامتْ لها في العلـُوات مناصب
هُمامٌ ببشرى النصر والفتح لم تزل   تسيرُ له كتْبٌ وتسري كتائب
عقيدُ الندى للجود غادٍ ورائحٌ   وحلف التقى في الله راضٍ وغاضب
ومستقبل الإقبال واليُمن في الوغى   ومنصرفٌ بالنصر والفتحِ آيب
ومُبتسمٌ في يَوْمَيِ البأْس والندى   أبـى أنْ يُرى في حالةٍ وهو قاطب
يزيـــد محيّاه سناً وطلاقـةً   إذا ما غدا وَجْهُ الضُّحى وهو شاحب
وقد ألفَ الهيجاءَ حتى كأنها   له وطنٌ ، والنصر جارٌ مصاقب
صدور عواليـــه مطالعُ أنجمٍ   لها في صدور المعتدين مغارب
وأكثرُ ممّا قاده من مقانبٍ   خلالُ جـــلالٍ حازَها ومناقب
مراقٍ من العلياء والملك ما ارتقت   إلى مثلها شُهْبُ الدجى والأشاهب (٢)
أفاضَ نداه مُغْنياً عن سُؤاله   فما عزّ مطلوبٌ ولا ذلّ طالب
وجلّـى هُداهُ ليلَ كلّ ضلالةٍ   فلم تـَدْجُ من ليلِ الضلالِ غياهب

---

(١) الخرصان : الرماح .
(٢) الأشاهب : الصقور .

نجومُ هدًى تجلو الدُّجى ما لِنُورها … غروبٌ ، وأنوار النجوم غوارب
وسُحْبُ ندىً تشفي الصدا ، ما لمائها … نضوبٌ ، وأمواه السحابِ نواضب
وما بَاعَدَ الأعداءَ عن هَدْيِهِ سوى … نفوسٍ أضلَّتها الأماني الكواذب
وقرّب منه المهتدين هداهمُ … ففازوا بما خاب العدوُّ المجانب
طباعُ هدى فاقتْ طباعَ ضلالة … ومنجذبٌ كلٌّ لما الطبعُ جاذب
وما المرءُ في أفعاله غير دافعٍ … لما يقتضيه طبعُهُ والضرائب [1]
ولو لم يكنْ بين الطباع تخالفٌ … لِما اختلفتْ في العالِمين المذاهب
ورى قَدْحُهُ في العقل والقول فاغتدى … بالنجح قِدْحٍ فيهما وهو ضارب [2]
ففي صدره بحرٌ من العلم زاخرٌ … وفي كفّه غيثٌ من الجود ساكب
فمَنْ يورِ زنداً أو يُفِضْ في رجائه … فما قَدْحُهُ خابٍ ولا القِدحُ خائب
أفادتْهُ في سِنِّ الشباب من النهى … بصيرتُهُ ما لم تُفِدْهُ التجارب
ويهديه نورٌ للبصيرة لم تكن … لتهدي ، كما يهدي ، النجوم الثواقب
تفتّح في القرطاس يُمْناه فوقَ ما … تفتّح في الروض السحابُ السواكب
فكم فضَّ أبكارَ المعاني خطابه … فأَضْحتْ به الأفكار وهي خواطب
وجودٌ له قد فاق مَعْناً ، ومنطقٌ له … فاق معنىً لفظُهُ المتناسب [3]
فإن أجتلب شعراً إليه فانني … الى هجرٍ تمراً كما قيل جالب [4]
أمُطْلِعَ أَنْوارِ الهدايةِ بعدما … تَوارى سناها وادلهمّتْ غياهب
سَميَّ رسولِ الله لا زلتَ سامياً … ولا زلت منصوراً على من تحارب
ولا زال أمرُ الله أمرَكَ تعتلي … له درجات في العلا ومراتب

---

(١) الضرائب : الخلائق واحدتها ضريبة .
(٢) القدح (بكسر الحاء) : السهم والقدح : ايراء الزناد .
(٣) معن : يعني معن بن زائدة الشيباني وهو معروف بالجود .
(٤) اشارة الى المثل : كجالب التمر الى هجر .

٨

[وقال]

عادَ قلبَـــهُ طَرَبُ ... حـــينَ زمَّتِ النُجُبُ
وانطوى على حُرقٍ ... قلبُه لهـــا نُهَب
لم يَهِجْ صدايَ سوى ... مبسمٍ بـــه شَنب
من رشاً ، هوايَ إلى ... حيثُ حلَّ مُنجذِب
قدُّهُ القضيبُ على الر ... دف كـــاد ينقضب
خدُّه بمـــا سفكتْ ... مُقلتـــاه مختضب
ذاك خِشفُ مُغزِلة ... ريـــعَ فهو منتصب [(١)]
بـــل مَهاةُ أصورَةٍ ... ترتقي وترتقب [(٢)]
خدُّها كشمسِ ضحىً ... بالضيـــاء منتقب
أسطرُ الحيـــاء بـــه ... باللحـــاظ تكتتب
وردُهُ يزيـــدُ إذا ... بالعيون يُنتَهَب
كم غدا البهـــارُ بهـــا ... للشقيقِ ينتسب
هـــل رضابُ مبسمها ... قهوةٌ أم الضَّرب ؟ [(٣)]
راق حين حُصِّب بالدُ ... رِ ذلـــك الثغب [(٤)]

(١) الخشف : ولد الظبية ، والمغزلة : الظبية .
(٢) اصورة : قطعان بقر الوحش .
(٣) الضرب : العسل ، القهوة : الخمر .
(٤) حصب : طرحت فيه الحصباء وهو كناية هنا عن الأسنان ، الثغب : الماء العـــذب ويكني به هنا عن الريق .

أكْثَبَ السرور بها ... إذ مزارها كَثَبُ
فالدمـــوع إثرهمُ ... لا تزالُ تَنْسكب
والضـــلوع بعـــدهمُ ... لا تزالُ تَلتهب
أينَ حُسْنُ عهدهمُ ... إذ ديارهمْ صُقُبُ
كم بوصلٍ طيفهمُ ... بعـــد نأيهم قربوا
فالكرى إلى دَرَكِ ... الوصل وصلة عجب
والإمـــامُ نائـــله ... للمنى هـــو السبب
مصطفى الأرومـــةِ من ... غالبٍ ومُنْتسب
قد سما إلى مُضَرٍ ... في العلا له نسب
جده الرِّضَى عُمَرٌ ... صارم الهـــدى الذَّرِب
كم عـــلا ومكرمةٍ ... أحرزت بـــه العرب
جودُ كفِّـه مَطَرٌ ... والخلائـــقُ العُشُب
كادَ لا يكونُ لهمْ ... في الحيـــا بــه أرب (١)
فالبحـــارُ فائضةٌ ... في يديـــه والسُّحُب
نخبةُ الملوك متى ... يبـــدُ للعدا يَغِبوا
ذو عزائمٍ قُذِفَتْ ... في العدا لهـــا شهب
ظـــل فتحها في نفوسِ ... العـــداة ينقلب
كم أزار أرضهمُ ... ضُمَّراً لهـــا خَبَب
فالأسودُ زَائرة ... غابُ سُمْرها أَشِب (٢)

(١) به : بسببه أي بسبب جوده كاد لا يكون لهم أرب في الحيا وهو المطر لأن الممدوح أغنى عنه .

(٢) أشب : كثيف ملتف .

كلُّ مقدمٍ بطلٍ ... كالهزبر إذ يثب

إن أرادَ حربَ عدا ... فالعدا لها الحَرَبْ[1]

كم غدتْ قلوبهمُ ... وهي للقنا قُلُب

تستقي نفوسُهمُ ... ظامياتِها السُّلُب

كلُّ ما العدا جمعتْ ... في الوغى له سَلَب

أمَّنَ البلادَ فما ... تهتدي لها النُّوَب

فالمها بساحته ... والأسودَ تضطرب

فهو للهدى وَزَرٌ ... وهي للعلا قُطُب

فالخطوبُ قد فصلت ... عن نهاهُ والخطب

راق حُسْنُ حضرته ... وانتهى لها الأدب

فهي لا تقاسُ بها ... جِلق ولا حَلَبُ

---

(١) الحرب : الويل والحزن .

- ٩ -

وله ايضاً عفا الله عنه(*)

أَدِرِ الزجاجة[١] فالنسيمُ مؤرج ... والروض مرقوم البرود مـدَّبج
وألأرض لابسة[٢] برودَ محاسن[٣] ... فكأنمـــا هي كاعب تتبرَّجُ
والنّهْى لمّا ارتاح معطفه[٤] الى ... لقيا الرياح عُبَــابُهُ متموِّج
يمسي الأصيلُ بِعسجديٍّ شعاعِه ... أبداً يُوَشّي صفحــةً ويُدبِّج
وتروم ايدي الريح تسلب ما اكتسى ... فتزيدُهُ حسناً بِمَا هيَ تنسُج
فارْتَحْ لشربك كأس راحٍ نَوْرُها ... بل بدرها[٥] في مائِهـا يتوهَّج
وأسكرْ بنَشوةِ لَحْظِ مَنْ أحببْتَه ... أو كأس خمرٍ من لمــاه تُمْزَج

* قال المقري في « ازهار الرياض » (ج ٣ ص ١٧٤) : « ومن بديع نظمه - رحمه الله قصيدة جيمية ، غريبة المنزع ، لها صيت عظيم عند الحذاق من اهل الأدب والنحارير من الفضلاء ، عارض بها في المعنى رائية ابن عمار الوزير للمعتمد بن عباد وفضل غير واحـــد هذه الجيمية الحازمية على تلك الرائية العمارية » .

واما مطلع رائية ابن عمار فهو :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى ... والنجم قد صرف العنان عن السرى

والقصيدة منقولة عن مخطوط مدريد ومقابلة على « ازهار الرياض » وهي من بحر الكامل .

(١) ازهار : المدامة.
(٢) ازهار : قد لبست .
(٣) ازهار :جمالها .
(٤) في الأصل : موطنه .
(٥) ازهار: نارها .

وأسمعْ الى نغمات عُودٍ تطبّي[1] قلبَ الخليّ الى الهـوى وتُهيِّج
بمٌّ وزيرٌ يُسعدانِ مثانيـاً ومثالثـاً طَبقَاتُهـا تتدرَّج
مَنْ لمْ يُهيِّج قلبَه هـذا فما للقلبِ منـه محرّك ومُهيِّج
فأجبْ فقد نادى بألسن حاله للأمـنِ[2] دهرٌ للهموم مفرّج
طَربتْ جماداتٌ وأفصحَ أعجمٌ فرحاً، وأصبحَ مِنْ سرورٍ يَهزج
أَفيفضُل الحيَّ الجمـادُ مسرَّةً والحيُّ للسرَّاءِ منـه أحوج ؟
ما العيش الا ما نعِمتَ به وما عاطاك فيه الكأس ظبيٌ أدعج
ممَّنْ يروقُك منه رِدفٌ مُردَفٌ عَبلٌ وخصرٌ ذو اختصارٍ مُدمَج
فاذا نظرتَ لطُرَّةٍ ولغُرَّةٍ ولصفحةٍ منه بدتْ تتـأجج
ايقنتَ ان ثلاثهُنّ وما غـدا من تحتهـا يَنْآدُ او يتموَّج
ليـلٌ على صبحٍ على بدرٍ على غصنٍ تحمَّله كثيبٌ رَجرَج
كأس ومحبوب يظل بلحظـه قلب الخليِّ الى الهوى يُستَدرَج
يا صاحِ ما قلبي بصاحٍ عن هوى شيئـين بينهما المنى تُستَنتَجُ
وبمهجتي الظبيُ الذى في أضلعِي قد ظل[3] وهو يشُجُّهَا ويُؤجِّجُ
ناديت حاديَ عيسه يوم النوى والعيسُ تُحدى والمطايا تُحدَج[4]
قف ايهـا الحادي اودِّعْ مهجةً قدْ حازها دونَ الجوانحِ هَودَج[5]

(١) في الأصل : تكتسي والتصويب عن ازهار الرياض .
(٢) أزهار : للانس .
(٣) ازهار : حل .
(٤) تحدى : اقرأ ايضاً تخدي أي تمشي ؛ تحدج : تعالى عليها الحدوج .
(٥) هذا البيت زيادة من ازهار الرياض.

لما تواقفنا وفي احداجهـــا   قمرٌ منير بالهلال متـــوّج
ناديتهم : قولوا لبدرُكمُ الذي   بضيائه تسري الركاب وتُدْلج
يُحْيي العليلَ بلحظة او لفظة   تُطفي غليلاً في الحشا يتـأجج
قالوا نخاف يزيد قلبَك لاعجاً   فأجبتهم خلُّوا اللواعجَ تَلْعَج
وبكيتُ واستبكيت حتى ظلّ من   عبراتنـــا بحرٌ ببحرٍ يُمْرَجُ
وبقيتُ أَفتحُ بعدهم بابَ المُنى   مـــا بيننا طوراً وطوراً أرْتِج
وأقولُ: يانفسي اصبري فعسى النوى   بصباحِ ليلٍ قربَهـــا يتبلّج
فترقّبِ السراءَ من دهرٍ دجا   فـــالدهرُ من ضدٍ لضدّ يخرج
وترجّ فُرْجة كلّ همٍ طارقٍ   فلكلّ همٍ في الزمان تفرُّجُ (*)

---

* قال المقري (ازهار الرياض ٣:١٧٦) وتذكرت بهـــذه الجيمية قصيدة ابن قـــلاقس الاسكندري – رحمه الله تعالى – وهي :

عرضت لمعترض الصباح الأبلج   حوراء في طرف الظلام الأدعج

– ١٠ –

وقال وهي الجيمية الثانية *

ما أقرب الآمال من يد مُرْتجٍ   يقْضي الإلهُ له بفتح المُرْتَجِ [1]
وأحقّ من يهدى لمنهجِ رشده   ان يستبينَ له اتضاحُ المنهج
فانظرْ بعينِ هُداكَ لا عينِ السِّوى   وبنور عقلك فاستضىء واستسْرج
وإذا لهجتَ من الأمور بمأربٍ   فبما يؤدي للسلامة فالهج
وإذا هويتَ فلا تكنْ متهالكاً   في الحبّ بل متماسكاً كي تنتجي [2]
فالحبُّ مثلُ البحرِ يأْمَنُ من مشى   في شطّه ويخافُ كلُّ مُلجِّج [3]
فاسلكْ سبيلَ توسطٍ فيه تُصِبْ   والى التبسُّطِ فيه لا تُستدرج
وإذا عرتك من الليالي شدةٌ   فاعلم بأن مآلها لتفرُّج
لا تيأسنْ من رَوح ربّك وارجُهُ   في كلّ حالٍ فهو أكرمُ من رُجِي
ولئن نهجتُ من النصيحة في الهوى   لذوي البصيرةِ فيه ما لم يُنْهَج
فأنا الذي أفنى التناهي في الهوى   نفسي وما أبقى على قلبي الشجي
وبمهجتي من لم يُعَوِّضْ أضلعي   من مهجتي غير الهوى المتأجج
ظبيٌ تحرَّج من وصالٍ محبه   وابتزّ مهجته ولم يتحرَّج

---

* القصيدة منقولة عن مخطوطة مدريد ، وهي من الكامل
(١) المرتج : المغلق بالرتاج .
(٢) تنتجي : تنجو وتسلم .
(٣) الملجج : الذي يركب اللج .

وَصلَتْ به قَطْعَ الفلا عيسٌ متى   تَدْلِجْ تؤوِّبُ أو تؤوّب تَدْلج[1]
ناديت حاديهم وقلبي يشتكي   من لاعج الأشواق كل مُؤجّج
يا حاديَ الأظعانِ كم من مهجةٍ   حملت حمُولك في أعالي هودج
قد أثقلتها نُهّدٌ أضْحَتْ بهـا   قبل الوجى تمشي كما يمشي الوجي
حُدِيت بها من بعد ما حُدِجَت لها   ليت النواجي للنوى لم تُحْدج
تهفو القلوبُ إذا هَفت أخفافها   بحصىً كحبّاتِ القلوب مُضرّج
رفقاً بها وبأنفسٍ في إثرها   تنساقُ في أثر المطايا الوُسّج[2]
حطوا بدورَ الحسنِ فوق أهلّةٍ   من واخداتٍ بالهوادج هُـدَّج[3]
كتبتْ إلي بلحظها فأجبتها   عما كتبن بخطّ لحـظٍ مدمج
وجعلتُ كُتبَ الدمع في كتب الضنا   في وصف أسرار الهوى كالمُدْرَج
خُلِطت يواقيتٌ هناك لأدمع   . [. . .] أدمع لم تُمزج
وغدت دموعُ الدلّ تُجري الكحل في   ورد الخـدود فينثني كبنفسج
كم حَمّلوا يوم الوداع حمولهم   من جؤذر أحْوى وظبي أدعج
من كل دامي الطرف ليس إذا رمى   كفيه في قُتراتِه بالمتْلِج[4]
كم لوعةٍ عالجتُ حين تحمّلوا   بالناعجاتِ لعالج ولمنعـج[5]
كم بتُّ بعدهمُ بليلٍ لم يلـح   من بعـده صبحٌ ولم يتبلج

---

(١) تؤوب : تسير نهاراً ، تدلج : تسير ليلاً .
(٢) الوسج : جمع واسجة وهي التي تسير الوسيج وهو مشي سريع .
(٣) هدج : تمشي رويداً في ضعف .
(٤) من قول امرىء القيس :
رب رام من بني ثعل   متلج كفيه من قتره
والقترة : بيت الصائد ، وأتلج كفيه : أخرجهما .
(٥) الناعجات : المسرعات الماضيات ، وعالج ومنعج : موضعان .

طالت غياهبه فلم يَتفرَّ عن   فلق لذي أَرَقٍ ولم يتفرَّج
حتى استضأت ببدر آفاق العلا   أليعربيّ اليـاسري المَذْحجي [1]
وتطلع ٱبنُ أبي الحسينِ لناظري   كتَطلع الصبح المنير الأبْلج
فسعدتُ بابن سعيدٍ الأعلى ابي   عبد الاله ونلت ما انا ارتجي
الحاجبِ الأعلى الذي مُذْ فتَّحَتْ   يمناهُ أبوابَ المنى لم تُرْتَج
ذخرُ الامام المجتبى وعياذه   ومنيرُ غيهبِ كلِّ خطبٍ مدَّج
وأمينُ سرِّ مَقام حضرته اذا   ناجى النصيحة مخلصاً فهو النجّ
صُبحُ الرجا، بدرُ الدُّجى، غيثُ الندى   ليث الوغى، الماضي بكلِّ مدجج
بحر العلوم الطافح الطامي الذي   بسوى نفيسِ الدرِّ لم يتَمَوَّج
طودُ العلوم الرّاسخ الراسي الذي   بسوى النجومِ الزُّهرِ لم يَتَتَوَّجِ
سبطُ الرضا عمارٍ الهادي الذي   ما رسمُ مَنْهَجِ رُشْدِهِ بالمُنْهَج [2]
صحبَ الرسولَ فحاز كلَّ فضيلةٍ   لمهاجريه وأَوْسِهِ والخزْرَج
شهد النبيُّ له بخيرِ شهادةٍ   كانت نتيجةَ كلِّ فضلٍ منتج
قالت ملائكة السماء لوجهه :   قد طبتَ فاصعدْ للسعادةِ واعرج
لقيَ الملائكةَ الكرام بغرّة   أبهى من القمر المنيرِ وأبهج
يَنْميهِ كلُّ مُقلّدٍ بحلَى العُلا   ومكلّلٍ بالمكرماتِ مُتوّج
ورثَ العُلا بأَواصرٍ من يَعْرب   لعناصرٍ من مجد يَعْرب وشّجِ [3]
من كل من دَرج الزمان بشخصه   وكأنه من ذكره لم يُدْرَج
يبلي الجديدانِ الجديدَ من الحلى   وحلا علاه جديدة لم تُنهَج

(١) الياسري : الذي ينتمي الى عمار بن ياسر .
(٢) المنهج : الذي قد رث وأخلق .
(٣) وشج : جمع واشجة أي متصلة .

بهدى أبي اليقظان عمار اقتدى   أهدى وأرشدُ كلَّ سارٍ مُدْلج
وابن الكريم بأنْ يُرى كأبيه في   كسب المكارم والعلى قَمِنٌ حجِ [1]
ما أسنه [. . . . .]   أو صارمٍ أو ذابلٍ أو أعوج [2]
من كل ساجي الطرف سام أذنه   وتليله والظهر سامي المنتج [3]
بذرى الجبال له توقل عاقــل   وعلى السهول له ارتماء الأموج [4]
يلقى الصفاح البيضَ غيرَ مُعَرِّدٍ   ويصادم الخرصان غــير مُعَرِّج [5]
ولكم قــد انغلَّتْ بجلدته كما   ينغلُّ في السرحان شوكُ العوسج
تركت مطايا الآملــين لما سقت   يمناه مــا يسقيه صوبُ الزبرج [6]
فتجمّ أنفسها لورد جمامــه   بصدودها عن برد مــاء الحشرج [7]
وتصدُّ عن رعي الجميمِ كأنهــا   تلقى من البهمى أخلة ملهج [8]
لفظت بحورُ علومــه بلآلىء   مكنونة وتنزّهتْ عــن بَهْرج
غاصت خواطره بها واستخرجت   من دره المكنــونِ ما لم يُخرج
متولج من عــلم كلَّ حقيقةٍ   ودقيقــةٍ مــا ليس بالمتولج
جمع الخلاصةَ مــن كتابٍ محكمٍ   وصريحهُ بــدخيلهِ لم يمزج
وأزالَ من جَدَلِ النحاةِ وقولهم   وجميع ما اختلقوه ما لم يُحْتَج

---

(١) هو حج بكذا ، أي جدير قمين به .
(٢) أعوج : اسم فحل من خيول العرب .
(٣) التليل : العنق .
(٤) توقل : صعود ، العاقل : الوعل الذي يسكن أعالي الجبال .
(٥) معرد : حائد نا كل .
(٦) الزبرج : السحاب الرقيق .
(٧) الجمام : المياه : الحشرج : كوز صغير لطيف ، ومن قول عمر : « شرب النزيف ببرد ماء الحشرج » .
(٨) الجميم : النبت ؛ الاخلة : اعواد تشد في الاخلاف لئلا يرضعها الفصيل ، والملهج الذي جعل في فمه هذا الخلال لكي لا يصل الى الرضاع .

كم عنـد مولانا الخليفةِ خصّني … بعطر مـن ذكره ومؤرَّج
ولكم جلا عني الهموم وسرَّني … بمفرِّجٍ من صنعـه ومفرِّج
يا سيداً صيرته لمطالبي سنَداً … فلستُ الى سـواه بمحْوَج
لجّتْ بصدري غُصّةٌ من حالةٍ … ضاقتْ عليَّ وان تَشأْ لم تَلجُج
وجميـلُ صنعك عودةٌ أو بدأةٌ … ان شاء تفريجَ الهموم تُفرَّج
بل فضلُ صنعك واجب فالقولُ إن … داخلته لم يلفَ غـير مُشبَّج (١)
ما مَنْ يُسَرُّ بأن ينالَ بك الغنى … بأسرَّ منك بان تُنيـلَ وأهج
فبأيِّ وصفٍ انت أولى عندما … تولي الغنى أبِمُبْهِجٍ أم مُبْهَج
بل أنت اكرمُ من غدا مستبشراً … ومبشّراً لذوي الرجاء اذا أرتجي
فتّحتَ من باب المنى ما لم يكنْ … متفتحاً وفرجت مـا لم يُفْرج
فاخرتَ خطّابَ العلا ففخرتهم … وظفرتَ بالقِدْحِ المعلّى الأبْلج
ظفرَ الكريم الحارثي أخي بني … عبد المدان بخطبة ابنـة مدلج
حيتك زهرةُ مدحـة أرواحُها … تسْري إلى الأرواحِ ذات تأرج
هزجت سواجعها بروض ثنائكم … والطير مهما تلفِ روضاً تهزج
أرّجتْ أنفاسَ الرياح بنشرها … ونسيمها فاسمعْ لشعر مؤرج
غلبـاء يرتج في مدائحها على … من ليس في مدح عليه برتج (٢)
والمدح ليس يجيء إلا قاصراً … عنكم ولو بلـغ السها في المعرج (٣)
فاخلد وقِرّ بكلّ من أنجبتَه … وبكلِّ من أحببتَ عيناً وأبهج
وكما سعدتَ من الزمان بما مضى … فاسعدْ بمـا هو حاضر وبما يجي

---

(١) البيت مضطرب في الأصل ؛ والقول المشبج : الذي فيه اضطراب وتخليط وتعمية .

(٢) هذا البيت والذي يليه كانا يقعان بعد البيت رقم : ٧٥ وقد نقلتهما الى هـذا الموضع حسبما يقتضي تسلسل المعنى .

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت مضطرب في الأصل ، وقراءته على هذا النحو ناظرة الى المعني دون الشكل الكتابي .

- ١١ -

وقال ايضاً

بِجنّةِ الأرضِ همتُ يا صاحِ ... فليس عنها الفؤاد بالصّاح
تلك محلُّ النُّهور مُرسِيَةٌ ... مَوْطِنُ أُنْسِي ودارُ أفراحي
مرسيَ كم ناعمٍ وكم جذلٍ ... بين الرياحين فيكِ والرَاح
هابطة النهر منك أذكرها ... من شطٍ أعلاه جسرُ وضّاح (١)
فكل حُسْنٍ ما بين قنطرتيْ ... طَبيرة منهما وسبّاح (٢)
سبعون ميلاً كنّا نجول بها ... بين جسورٍ وبين أدواح

(١) تقع مرسية على نهر كبير ، وكان يجاز اليها على قنطرة مصنوعة من المراكب ، ويخرج من نهرها جدول على مقربة من قنطرة اشكابه ، وجدول ثان يسقي جوفيها (الروض المعطار : ١٨١ - ١٨٤) .

(٢) طبيرة : لم يعرفها صاحب الروض المعطار وقدر أن تكون هي طلبيرة ، وشعر حازم قد يشير إلى أنها قريبة من مرسية .

- ١٢ -

وله ايضاً قصيدة في مدح الخليفة الحفصي وانتصاره على قبيلة رياح بالشمال التونسي والقصيدة من الكامل :

بُلِغتَ في الأعـــداءِ كل مُـرَاد   وغدا لكَ التأْييدُ ذا إسعاد
وَغدا الأعادي من رياحٍ كلمَا   هبّتْ بِنَصْرِكُمُ الرِّياحُ كعَادِ [1]
[. . .] [2] للسبـــاع فريسة   وسطا بشبل غـــالب الآساد
وكبت بجوّاد وأسرى قَوْمِه   دُهْمٌ أتتْ من مربط الحدّاد
طوّقتَهم بظباك إذْ لم يشكروا   مَا طُوِّقوا مِنْ أنْعُمٍ وَأياد
فتحٌ بــه أبوابُ كلِّ بشارةٍ   فتحت بِيُمْنِ البيض والأنجـاد [3]
إنْ كانَ قبْلَ العِيدِ قُدِّم يَوْمُهم   فلَقَدْ غدا مِنْ أفضَلِ الأعْيَادِ

---

(١) رياح : قبيلة عربية ضاربة بسهول تونس الشمالية . انظر : كحالة : معجم القبائل ، والتجاني ، الرحلة وابن خلدون : ديوان العبر .
(٢) بياض بالاصل لعله : « ورمى الاعادي ... »
(٣) الانجاد : جمع نجد ونجيد وهو الرجل الشجاع الشديد البأس .

- ١٣ -

وقال يهنيء الخليفة المستنصر بعيد الاضحى ، وهي من الكامل(*)

عيد بجودِك جِيدُه قــد قُلـِّدا   وبيَمْنِ جـــدِّك يمنه قد أُكدا
فاهنأ به ، وبألفِ عيدٍ بعـــدَهُ   وأسعدْ بلُقياه كما بكَ أسعدا
وأبلغْ مرادَكَ في الزمانِ وأهلِه   واخلدْ ودُمْ أبداً دواماً سرمَدا
وأمْدُدْ لنا يَدكَ الكريمة نستَلِمْ   منها المكارمَ والعُلا والسؤدَدَا
ونرى الغوادي كيف ينشأ مُزْنُها   طلْقَ الاسرةِ لا عبوساً أربدا
والبحرَ كيف يُنيلُ أنفسَ دُرِّهِ   كرماً ، ويقذفُ لؤلؤاً وزبرجدا
بحرٌ اذا لاقى العُفَاةَ رأيْتَه   رَهْواً ، وإن لقِيَ الأعاديَ أزبَدا
وَحياً اذا جـــاد الحيا بقطارِهِ   سَقْياً رأيْنَا القطرَ منه عسجَدا
ما العيدُ في التحقيقِ إلا عـادة   ليديك في منح(١) الأيادي والجَدا
أضحى نداك لكلِّ عيدٍ قادمٍ   عيـــداً مفيداً للسرور مجَدِّدا
فلو أن ذا العيدَ أحتذى حذو الورى   فعلاً ، أهـلَّ الى سناك وعيّدا
عيدٌ تشَرَّفَ يومُهُ بلْ شهرُه   بكَ فاغتدى بين الشهورِ ممجَّدا
أيامُ تشريق وإشراق بمـــا   أطلعت فيها من سنا شمسِ الندى
ووقوف حجّ قد علت لك حجة   فيه وسلطان على كل العـــدا
وقدوم عيـــدٍ عاد بالبشرى لكمْ   وبمثلِ ما قد عاد مِنْ خيرٍ بدا

(*) منقولة عن مخطوطة مدريد .

(١) غير واضحة بالاصل ولعلها ما أثبته .

وسمته نعماكم فسمّي موسماً   إن الأسامي قد تُبينُ المقصدا
ودعوه عيداً إذ غدا لك منجزاً   في النصر والفتح المعجّل ، مَوْعدا
حشدَ الصّنائعَ والمنى لك والذي   يتلوه يُلْفى للصنائع أحْشدا
وبدأْتَ فيه وعُدْتَ بالنعمى وما   زالت هباتُكَ بادياتٍ عوّدا
سمتِ العيونُ به لغرّتك التي   أضحت لماء البشر منها ورّدا
وسعت إلى تقبيل راحتك المنى   فغدَتْ لغيثِ الجُود منها رُودا
فاستقبلتْ بابَ القبولَ مفتّحاً   أعمالَ كلِّ مقبّلٍ تلكَ اليدا
لثموا يداً بيضاءَ منك كأنهمْ   لثموا بها الحَجَرَ الكريم الأسودا
أكْرِمْ بها من راحةٍ إحسانها   أضْحى مراداً للعفاة ومورِدا
كمْ من يدٍ لِيَدِ الأميرِ محمدٍ   عادتْ ، فكان العَوْدُ منها أحمدا
مَلِكٌ بذكرى مُنْجبيهِ وذِكْرِه   يُسْتَفْتَحُ الذكرُ الجميلُ ويُبْتدا
بأبيه يحيى المُرتضى وبه جرَتْ   للنّصْرِ أرواحٌ وكانتْ رُكّدا
وبِهَدْيِهِ وبِهَدْي مُنْجبهِ الرِّضى   وُقِدَتْ مصابيحٌ وكانت خُمّدا
أبْقى لهُ العُمَرانِ مجداً لم يَزَل   بالبيضِ والسُّمرِ الطوال مُشيَّدا
عُمَرُ الذي ابتدأ الفتوحَ بيُمْنهِ   وَسَمِيُّه عُمَرُ المتَممُ ما ابتدا
لا خَلْقَ مِنْ بَعْدِ النبيِّ وَصحْبهِ   أعْلى يداً مِنْهُ ، ولا أسنى يَدا
فبهِ اقتَدَى من بَعْدهم كلُّ امرىءٍ   مُستَبْصِرٍ ،ومن اقتدى فقد اهتدى
وبهِ رَعوْا رَوْضَ الأماني ناضراً   شرقاً بأنداءِ الذرى مستأسدا
في كل يوم يَرْتجي إحسانه   مَنْ يَرْتجي بنبيّه الحُسْنى غدا
إن قيل : من لشفاعةٍ ومعيشة   أعددت ؟ قال محمدا ومحمّدا
ملكٌ غدا يغني الجميعَ بفضله   وإن اجتلتْهُ العينُ شخصاً مُفرداً
أضْحى النّدى طبعاً له وتعوُّداً   فغدا فريداً في المكارمِ أوْحدا

والفضلُ في الإنسانِ ليسَ بكاملٍ حتى يكونَ طبيعةً وتعـــوُّدا
أعْطى فأغنى سَيْبُهُ من قدْ رَجا وسطا فأفنى سيفه من قدْ عَدا
أرْعى الأماني خُضْرَ أنديةِ الندى وكسَا الأعادي حُمرَ أرديةِ الرَّدى
فإذا سقى أروى الأماني جودُه وإذا رَمى غرَضَ الأعادي اقصدا
فيَرُوعُهُمْ بالخيـــل أيقاظاً وكم قد رَاعَ منْهُمْ بالخيال الهجَّدا
وكم استطار قلوبَهم بَطوَائِر هُدِيَتْ إلى قلب العدو كما هدى
وخـــوافقٍ منشورةٍ منصورةٍ أعدتبطول الخفق قلب من اعتدى
وسوابغٍ تجري إذا تجري لها في الأفق سابحة الكواكب أسعدا
خيـــل تخيّل بهمها غُرّاً إذا ضوءُ الأسنّةِ فوق أوجهها بَدا
وترى الأغرَّ حقيقة فتخاله بالصُّبح قُلِّد ، والأهلَّةِ قيِّدا
فإذا تبلـــج أو تطلّع غرّةً وَصفَ الغزالة والغزال الأغيدا
تغشى الحروب بكلّ مرتاح لهـــا نَصَبَ ٱلقواضبَ والقضيبَ الأملدا
ما زالَ منْ حَزْمٍ ورأي يكتسي في السِّلْم والحَرْب الدّلاص المحصدا [1]
فتراه أكْسى من أحيحة في الوغى وأتمَّ حزماً من يزيدَ وأزيـــدا [2]
يَلقى الوغى جَذلاً بهـــا مستأنساً حيث الأسودُ الغُلْب تُلفى شُرَّدا
والحَرْبُ قائِمَةٌ وقد خرَّت بِهَا هامُ العِدا لركوعِ سَيْفِكَ سُجَّدا
أإمامنا وغمامنا الغادي الذي كم راح في طلب العفاة وكم غدا
في كلِّ حالٍ جُودُ كفّك سائلٌ عنْ سائِلِيه ، ومُجْتَدٍ أن يُجْتدى

---

(١) المحصد : المحكم .
(٢) أحيحة بن الجلاح : كان من أغنياء المدينة في الجاهلية ، وكانت عنده درع ليس بيثرب درع مثلها أعطاها لقيس بن زهير (انظر ترجمته في الأغاني ١٢ : ٣٢ ط . دار الثقافة). أما يزيد فقد ينصرف الى غير واحد مشهور بالحزم ، وليس أقلهم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فقد كان في الحزم صنو أبيه في الحلم ، ومن مشهوريهم يزيد بن مزيد الشيباني .

أضْحَتْ برقّك كلُّ نفْسٍ حُرَّةٍ   لمّا غَدَتْ أحرارها لكَ أَعْبُدا
أطْلَقْتَ منطقَ كلِّ مَنْ أنْطَقْتَه   شكراً ، فأصْبح مُطْلقاً ومُقَيّدا
أضْحى بِكُمْ روضُ الأماني ناضراً   وغدا بكمْ ظلُّ الأمانِ مُمَدَّدا
فمتى يَرُمْ إيقادَ نيرانِ الوَغَى   عاصٍ ، فَبأْسُكَ مُخمِدٌ ما أَوقدا
ومتى يَرُمْ إطفاء انوار الهدى   باغٍ فَهَدْيُك مُوقدٌ ما أخْمَدا
مَنْ كانَ مُعْتَلَّ الضميرِ مَريضَه   لم تأْتِهِ إلا رِمَاحُكَ عُوَّدا
كمْ قدْ شفيْتَ ببأْسِها ومَضَائِها   أدْوَاءَ منْ لم يَشْفِهِ منكَ النّدى
عَلِمَتْ بأنَّ الحِقْدَ أمرَضهمْ فما   عادَتْ من الأعداء إلا الاكبدَا
قدْ أحمدَتْ سِيرَ الأميرِ مُحمّدٍ   عَدْلاً ، وحقٌّ لمثله أن يُحمدا
مَلِكٌ غدَا بالمشرفيّةِ ملكُهُ   في الخافِقَيْنِ مُوَطّأً وموطدا
كمْ قدْ جَلا ليْلَ الخطوبِ وكم جلا   نورَ الخطابة ساطعاً متَوقِداً
كمْ حِكمةٍ جلّتْ جَلتْها للنُّهى   أفكارُهُ ، فجَلتْ بها عنها الصَّدا
وصَحيفةٍ قد صُحّحَت بِيَراعةٍ   قد صُحّفَتْ فشفَتْ تباريح الصّدا
يا ناصِرَ الدِّين الذي آراؤهُ   في نُصْرَةَ الإسلام توري أزندا[1]
إن المؤيد دينَه بك قد قضى   لك أن تكون مظفّرا ومؤيدا
وممكّناً ممّا أرَدْتَ مُخيَّراً   ومُوفّقاً فيما رأيت مسدّدا
وَدُعاؤُنا لكَ أن تَدومَ مهنّأً   ومُبشّراً ومُنعّماً ومُخلّدا

---

(١) أزندا : جمع زند وهو ما تقتدح به النار .

١٤

وله من قصيدة

تلقّى بيُمنى يُمْنِه رايةَ العَهْدِ وساعده في حَمْلِها ساعدُ السَّعدِ
وأقْبَلَ من قبلِ اقتيادِ جيوشِهِ بجيشٍ من الإقبالِ والجِدّ والجَد
أميرٌ له أفضى الأميرُ بعهده فناسبَ بين الجيدِ في الحسن والعِقْد
تلقّى بها للمجدِ أَرفعَ رايةٍ فأَعربَ عن دعوى عرابةَ في المجد (١)
فراقتْ كما قد راقَ تاجٌ بمفرِقٍ وعقدٌ على جِيدٍ ، وقلبٌ على زَنْد (٢)
رأى أنها كفءٌ لعلياهُ مثلما رأته بها كُفْئاً كريماً بلا نِدّ
فلم يكُ من بدٍّ لها من علائه كما لم يكن منها لعلياهُ من بُد
ولايةُ عهدٍ وسمها راق وآسمها فأحْيتْ كما أحيا الوليُّ من العهد (٣)
أتت بعد ما كنّا جزعنا لحادثٍ فجاءت مجيءَ الوصلِ في عُقبِ الصدّ

---

(١) اشارة الى عرابة الأوسي الذي يقول فيه الشماخ ؛
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
(٢) القلب : السوار .
(٣) العهد : المطر .

١٥

وقال ايضاً يمدحه ويهنىء بقدوم ابنه ابي يحيى ، وهي من الكامل :

أزْكى سليلٍ زارَ أكرمَ والدِ … أكْرِمْ بِمَوْرودٍ عليه وَوَارد
قَمَران في أُفقُ العلا مَا منهما … عند التّقارن غيرُ نامٍ زائد
فغَدَتْ لعزِهما النجوم سَواجِداً … فوْقَ الثَّرَى مَعَ كل نجمٍ ساجد
لله يَوْمٌ أقْدَمَتْــهُ سُعودُه … نَعِمَ الورى مِنْهُ بِعيدٍ عَائِدِ
نَاهيكَ مِنْ يَوْمٍ كريمٍ حاشرٍ … أنْمى الورى من كل أوْبٍ حاشد
لَوْ أنّ غسَّاناً رأته أنْسِيَتْ … يومَ السَّباسب في الزمانِ البائد [1]
وعُهودَ جلّق اذ تُحيّيهم بهــا … وَسْطَ القصور الحُمْر بيضُ ولائد [2]
غنَّى الغَــمامُ بسيله فترَنمتْ … من خُضرِ أسمية وزُرْقِ موارد
بارَى وليّ العهدِ عهــدُ وليّه … وغدا له كالزائرِ المتعاهــد
وكسا الأباطح والربى ما زانها … من كل نَوْرٍ تَوْأم أو فَارد
خافوا على جُمِّ الجيادِ تقطعاً … منهــا بزُرْقِ مواردٍ كمبارد
وخشوا على ما أنعلَتْه توَقــداً … من كل نور للنواظر واقــد
عجباً أيُخْشى لفحُ مخضرّ ندٍ … أو أنْ يؤثّرَ ذائبٌ في جامد

---

(١) اشارة الى قول النابغة الذبياني يمدح بني غسان :

رقاق النعال طيب حجزاتهم … يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب هو عيد الشعانين .

(٢) هو من قول النابغة أيضاً :

تحييهم بيض الولائد بينهم … وأكسية الاضريج فوق المشاجب

فُقِدتْ بخُضْرِ خَمَائل،ولقد تُرى   قبلَ الحيا الوسميِّ غيرَ فواقد
ما أن يَمَلَّ الرائحُ الغادي لها   من لؤلؤ الأنْداءِ صوغَ قلائـــد
فكأنَّهُم في حرّ كل هجـــيرة   يسرون في سَحَرٍ بِلَيْلٍ بارد
هل ذاك إلا لاعتناءٍ يقتضي   إسعادَ آمـــالٍ ونُجحِ مقاصد
ببني أبي حفص علا عَلَمُ الهدى   ورسا بنـــاءُ الملكِ فوق قواعد
تلك الأصول الطيّبات أريْنَنا   مِمْن نَمَتْهُ كلَّ فرعٍ ماجد
قد بانَ طيبُ الأصلِ في طيبالجنى   طيبُ الفروع دليلُ طيب محَاتـد
أركانُ مُلكٍ راسخٌ بنيانُـهُ   سامٍ إلي زُهْرِ الكواكب صاعد
اللهُ شيَّده فـدام وإنما   يخشى البِلى ما اللهُ ليس بشائد
ليس الحيـــاة أو الحيا لمؤمّل   إلا ندى يحيى بنِ عبد الواحد
مَلِكٌ نداه سائلٌ عن سَائِلٍ   صِفْرِ الحقائِبِ قاصدٌ للقاصد
فالحِلْمُ منه مُخْلِفٌ إيعادَه   والجودُ مِنـــهُ مُنجزٌ للواعد
ومؤيّدٌ تسري أمـــامَ جيوشه   أبـــداً رياحُ النصر غيرَ رواكِد
وطئت سنابكُ خَيْلِهِ هامَ العِدا   مِنْ قبلِ وطءِ منازِلٍ ومعاهد
من كلّ مُجْفَرَةِ الضلوع كأنما   تَطوي على الأعداء زفرةَ حاقد (١)
أو كالحلَـقـــة الصَّيودِ مطهمٍ   يهوي بقتنص الفوارس صائـــد (٢)
يمضي فتسبق لحظَ ناظرِهِ ويرْ   جع قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ طرفُ الرَّاصد
ولَوْ أنهُ مُستَشكلٌ بعقـــاله   لم تُلفه الا عقـــال الشارد
حتى لقد نسي الجوادُ أسماً له   من طول ما سموه قيدَ أوابد

---

(١) المجفرة من الجفرة وهي جوف الصدر أو منحنى الضلوع ، وفرس مجفرة : عظيمة الجفرة .

(٢) المحلقة الصيود : يعني العقاب ، الصيود : التي تنقض بشدة على الصيد .

شأتِ البوارقَ غيرَ جاهدةٍ ولَمْ … يقطعن نومَ قطا الفلاةِ الهاجد
أشهرْتَ منهم كل جفن نائم … لما أنمتَ كلَّ جفنٍ ساهد
خَصَمَتْ سيوفُكَ عنكَ كلَّ مُجادلٍ … ألوى وقد ألوتْ بكلِّ مجالد (١)
وتواضعتْ شمُّ المعاقلِ هيبةً … من كلّ دانٍ منك او متباعد
وأذلَّ عزُّ الأبلَقِ الفردِ الذي … أخذ التمرّدَ عن أخيه مارد (٢)
وإليك منها روضةٌ مطلولةٌ … تحمى بها أنفاسُ نفسِ الحاسد (٣)
فانظرْ بعينِ رضاك منها أعيناً … نظرتْ إليك بها عيونُ محامد
وانفحْ بجودك للأماني نفحةً … حتى أرى كيف اهتزازُ الهامد
فيراجعُ الآمالَ صدقُ رجائِها … كالضوء يعلقُ بالذُّبال الخامد
وأهنأْ بقدم مُقتدٍ بكَ في العُلا … حذْو الشِراك على مِثال واحد
مَنْ أنت مُنْجِبُهُ لمضطلِعٌ بما … حمَّلْتَهُ من كلِّ عبءٍ آيد (٤)
يُزْهَى حُسام الملك اذ وصلتْ به … منه يدٌ وصلت بأطولِ ساعد
وأسعدْ بِزُهْرِ كواكبٍ أطلعتَها … يَقْذفنَ دونك كلَّ غاوٍ مارد
وأخلدْ خلودَ الشُّهْب وأبقَ بقاءَ ما … ذرأتْ هباتُك من ثناءٍ خالد (٥)

---

(١) ألوي : جدل شديد الخصام .
(٢) الأبلق الفرد : حصن بتيماء ، ومارد : حصن آخر ، وفي أمثالهم « تمرد مارد وعز الأبلق ».
(٣) منها : أي قصيدة الشاعر .
(٤) آيد : اسم فاعل من آد بمعنى أثقل .
(٥) ذرأت : خلقت أو نثرت.

١٦

وله أيضاً [يذكر انتشار السلك في وطنه بالأندلس ويمدح]

مَا أنسَ لا أنسَ تلك العِيسَ إذْ بكرَتْ ‏   بمثل عِيْنِ المها ، عون وأبكار
ليس الحدوجُ التي حَفت بهنّ سوى ‏   كِمامِ زَهْرٍ وهَالاتٍ لأقمار
تبدو أَهلةَ حُسنٍ كلما انتقبتْ ‏   وحينَ تُسفِرُ تبدُو ذاتَ إبدار
أترابُ غانيةٍ تُغْني بطلعتها ‏   عن طلعةِ البدر عند المدلجِ الساري
بجنّة الحُسْنِ من شرقيّ أندلسٍ ‏   قد خَيَّمَتْ بين أزهارٍ وأنهار
تسمو اذا ما سما نجمُ المصيف الى ‏   زُرقٍ صوافٍ عليها خضر أشجار
حتى إذا كوكبُ الأسحار لاح لها ‏   في شهرِ تشرينَ أضحتْ ذاتَ أسحار
وأستبدلت فوق شطّ البحرِ منزلةً ‏   من منزلٍ فوق نهرِ العسجد الجاري
حيث التقى الزّاخر المخضرّ مشبهَهُ ‏   حتى أقرّتْ بها ألحاظ نُظار
بسيط برٍّ غدَا البحر البسيط له ‏   مدانياً كدنوّ الجار للجار
إذا الندى انقطعت أسلاكه سحراً ‏   فيه غدا زهره منحلّ أزرار
فكم الى نَهر العِقْبان قد صعدت ‏   تعرو مساقط أزهارٍ وأثمار
وكم تجاه جبالَ الفضة انحدرت ‏   تقفو مساقط أنواء وامطار
حيث آستفاض شعاعُ الحسن وابتسمت ‏   أضواؤُهُ بين أنجادٍ وأغوار
وأَجبُلُ القبلةِ الغراء قابَلها ‏   طودُ المحاريب من أعلامِ مُذْقار
معاهد قد لبِسْنَ الأنس متّصلاً ‏   في غُرّ أنديةٍ منها وأسحار
فأَوحشتْ بعدَ إيناسٍ وصار بها ‏   صَرْفُ الحوادثِ طلاّباً بأوتار

كانت نوائبَ أدنى ما جنته نوىً ... أدنى جناياتها تهْييج أفكار
وعضُّ ُظفرٍ بأسنانٍ على زَمنٍ ... قد عضَّ أو قَـرعُ أسنانٍ بأَظفار
أبقى المنازل أصفاراً وغادرها ... من كان فيها ، شريداً حِلف أسفار
كانوا كطيرٍ بأوكارٍ فصيَّرُهمْ ... زمانُـهُمْ فوق طيرٍ ذات أكوار
عرفتُ من بعد إنكارٍ معاهدَهمْ ... فكدتُ أُنسىَ ٱصطباريبعد تذكاري
أبـكي لمعرفة العهد القديم وما ... أنكرتُ منخطب دهر طارق طار
شِيبَتْ مواردُ أُنسي بعد ما خلصت ... جمامها الزُّرْق من شوبٍ وأكدار
كم أوجهٍ للمنى غُرٍّ نعمتُ بهـا ... في أزمنٍ مثلها غُرٍّ وأعصار
ثم انتحت أزمنٌ بُهْمٌ مبـدّلةٌ ... حالاً بحالٍ وأطواراً بأطوار
ففرَّقت شَمْلَ أحبابٍ وشملَ مُنىً ... وألَّفَت شَمْلَ أعداءٍ وأشرار
ومُذ تفرّقتِ الآمال ما ٱجتمعتْ ... لي في دجى الليل أشفارٌ بأشفارِ
ولو تيقظَ من إغفائِه أملي ... ما واصلَ اليأسُ إيقاظي وإسهاري
وليس يوقظ آمالي سوى يقظٍ ... يُنمى لمجـدِ أبي اليقظان عمّار [1]
محمد بن سعيد خير ما سعدت ... بـه المنى بينَ إيرادٍ وإصدار
السيّد المذحجيّ المكتسي حُللاً ... من العُلا جدداً ليست بأطمارِ
حاطتْ حجابته الدنيا بما ضَربتْ ... دون الحوادث من حُجْبٍ وأستار
ناهيك من جُنّـةٍ للدين واقيةٍ ... وصارمٍ في يـد الإسلام بتّار
وهضبةٍ من هضابِ الحلم راجحةٍ ... وروضةٍ من رياض العلم مِعطار
وغيث جودٍ على العافينَ منسكبٍ ... وليثِ بأسٍ على أعدائه ضار
تسري صَباه بليلاً للعفاة وما ... أرواحُهُ في الأعادي غير إعصار
لو لم يفِدْ وافِدٌ مغناهُ طَالعَهُ ... بوافـداتٍ من الآلاء زُوّار

(١) يعني الصحابي عمار بن ياسر أبا اليقظان .

له سهامٌ من الآراء صائبةٌ يَرِيشُهنّ ويبري في رضى الباري
سَمَتْ إلى أبعدِ الغاياتِ همّتُهُ فأدركتها وليست ذاتَ إقصار
فليس يرجو سوى أجرٍ ونيل علاً وليس يَحْذرُ غيرَ الإثم والعار
لا يستطيع بليغٌ أن يُجاريَه من البلاغةِ في شأوٍ ومضمار
إذا يراعتُهُ في كفّهِ خطَرَتْ أنساك كلَّ قويمِ المتنِ خطّار
يُملي عليه الحجا ما شاءَ من كلمٍ قليلةٍ ومعانٍ ذاتِ إكثار
قد سلّم الصّاحب الأقليدَ منه الى سحاب ذيلٍ على سحبانَ جرّار
إن ذَيّلَ النظمُ بالنثر استفدت به منثورَ سحبان في منظوم بشّار
لفظٌ براعته تُعزى الى ابن أبي سلمى ورقته تُعْزى لمهيار
بل قد تعالتْ عن الأفكار فكرتُهُ وجلّ مقدارُهُ عن كلِّ مقدار
وإنّ كلَّ بيانٍ في معارفه كنقطةٍ غُرِفتْ من لُجِّ زخّار
يا بن الحسينِ أبي عبدالإله غدا صُبح الهدى زائداً نوراً لأنوار
لجدّه شهدَ الهادي بكلِّ هدىً في جَنةٍ من خيار الصَّحبِ أبرار (١)
كفَى دليلا على الهدْي الذي لكمُ شهادةٌ نُقِلتْ عن خير مختار
هدايةٌ لم تزل فيكم مُبيّنةٌ لذي اختبارٍ ومن يُعْنى بأخبار
مآثرٌ ليس يُبلي الدهرُ جِدّتها ما دام منكمْ لها تجديدُ آثار
لا يبرح الدهرَ أخيارٌ تُجدّدها من آل بيتكمُ من بعد أخيار
من كل منتسبٍ للبيضِ من يَمَنٍ وكل مُكتسِبٍ بالبيضِ مغوار
سَخَوْا بكل نفيسِ القدرِ في خطرٍ كما سخَوْا بنفوسٍ ذات أخطار

---

(١) يريد قول الرسول (ص) حين كان يمر بعمار وأبيه وهما يعذبان : « صبراً آل ياسر . موعدكم الجنة » .

بابن الحسين أبي عبدالإله غــدا ... شُرْبُ المنى ليَ عَذْباً بعدَ إمرار
أحضرْتُ صدقَ رجائي إذ وثقتُ به ... فغاب يأسي به من بعد إحضاري
كم ارتياحٍ له يغني بهزّتــه ... عن أن يُهزّ بأمداحٍ وأشعار
وحسبُ مثليَ تنبيهاً وتذكرةً ... لمثله ترك تنبيهي وإذكاري
أما وقلبيَ قد ناط الرجاء بــه ... فليست القوس إلا في يدِ الباري
بكَ انتصاري أبا عبدِ الإله على ... دهرٍ عدمتُ به نَصْري وأنصاري
كم بدأةٍ في اصطناعي قد بدأتَ وكم ... رفعتَ في الناس قدري فوق أقدار
ولم يؤخِّرْكَ عن تكميل ما بدأتْ ... علياك غير مشيئاتٍ وأقدار
وقد تبدّت نجومُ السّعد وانبلجت ... أنوارها بين أحــداق وأبصار
وساعدتك الليالي فانتفعْ أبــداً ... وانفعْ وخذْ من صروفِ الدهر بالثار
مَنْ ذا يؤمّل لاستجلابِ منفعة ... سواك أو يُرْتجَى في دفعِ أضرار
كم موطنٍ فيه لم أحضر غنيتَ به ... عن محضري بخلالٍ منك حُضّار
خفَرتني من خطوبِ الدهر أزْمِنَةً ... وبعد خفريَ لا ترضى بإخفار
كم من أياديَ قد صيّرتها فقَضَتْ ... بكلّ حَمْدٍ لكُمْ في الأرض سيّار
وكم جناح نجاحٍ رِشْتَه فقضى ... لكم بذِكْرٍ على الآفاق طيّار
أوْعَدْتُ دهري بما عنكَ المُنى وَعَدَت ... ومــا ضجرتُ له إذ رامَ إضجاري
وظلتُ آمله من حيثُ أحذَرُهُ ... فالخيرُ والشرُّ ليسا غير أدوار
لا غروَ أن تختفي أنوارُ ذي كرمٍ ... حيناً وتبــدأُ حيناً ذات إسفار
فعادةٌ للحُمَيّا أن تصير الى ... صَدْرِ الزُّجاجة من مُخْلِي لك القار

والدرُّ ينقل من أصدافِه فـيُرى   في عقــد غانيةٍ أَو تاج جبَّار

أَضمرتُ في حبكم إضمارَ معتقدٍ   قد جلَّ عن كلِّ إخلاص وإضمار

فلو على قـدر حبِّ المرءِ تؤثره   ما كان إيثارُ خلقٍ فوقَ إيثاري

وما أبالي إذا الدنيــا حلَتْ لـكُمُ   واعْذَوذَبتْ أنْ غـَدَتْ لي ذات إمرار

نعيمكمْ لي نعيمٌ فلْتَدُمْ لكُمُ   أسبابُ كلِّ نعيمٍ ذات تكرار

١٧

وله رحمة الله عليه يهنئه بفتح حمص :

دامت لك البُشْرى ودامت للورى ... بِكمُ ، ودمت على العُداة مظفَّرا
وَملكْتَ ما ملك ابنُ داودَ الذي ... كلَّ الأنام لأمره قد سخَّرا
إن البشائر والفتوحَ تتابعتْ ... فتنظّمت في سلكِ مُلكِكَ جوهرا
عَبِقَتْ مَنَاسِمُها فضاعت مَنْدلاً ... وتأرّجتْ مِسكاً ، وفاحتْ عنبَرا
ولِفتح حِمْصٍ في الفتوح مزيَّةٌ ... فيحقُّ فيها أنْ يُسمَّى الأكبرا [1]
مَدَّتْ إليك يدَ المُطيع وبايعَت ... منكَ الإمامَ المرتضَى المتخيَّرا
وهي العقيلةُ حُسنها مستأهِل ... أنْ يُصْدَقَ الصُّنْعَ الجميل ويُمهرَا
فقبلتها لا لازديادِ ضخامةٍ ... بل رَغْبةً في أنْ تُثَاب وتُؤْجَرا
لكُمُ على ذي الطوع نُعْمى مُفضلٍ ... إذْ كان مُضْطراً وكنتَ مخيرا
حضرت لديك وفودُها وقلوبُ مَنْ ... قد غاب قدْ أضحَتْ لدَيْكم حُضَّرا
سعدوا برؤْيتكم ومن قد خلَّفوا ... يرنو إليكم بالضمير تصوُّرا
ورأوا مثابتَك السعيدةَ جنَّةً ... ورضاك رضواناً ، وجودَك كوثرَا
بهرتْ لواحظَهم أسرَّةُ عزَّةٍ ... أبهى من البدرِ المنير وأبهرَا
وقفَتْ لحاظَهمُ المهابةُ دونها ... ودَعَا اللواحظَ بشرُها أن تنظرا
ما إن سما طرفٌ ليلحظها هوىً ... إلا انثنى — من هيبة — متحيِّرا
مُلِئت صدورهُمُ هوىً وأمانياً ... ورأوا حميداً وِرْدَهمْ والمصدرا

---

(١) حمص : مدينة اشبيلية بالأندلس .

ودَعَوا لأندلسٍ وأهليها بكم ... نصراً يدومُ على الزمان مُؤَزّرا
بعد الجزيرة نصرةً تفري بها ... أشلاءَ طاغيةِ النصارى الأسبرا (؟)
أنت الحقيقُ بأن تلبّي صوتها ... وبأن تريق لنصرها كأس الكرى
وبأن تفوقَ مُجيبَ صوتِ زَبَطْرَةٍ ... ويرد عصرُ هداك مُلْكَ الأعسرا (١)
بشّر بني حمصٍ وأندلس بما ... سيعيد منها عامراً ما أقفرا
فلقد تضمّن نصرَها ملكٌ به ... أحيا لها اللهُ الرجاءَ وأنشرا
قد بذّ في إدراكه ثأر الهدى ... سيفاً ، وفي عزماته الاسكندرا (٢)
سبط الرضا الهادي أبي حفص الذي ... أضحى به صُبْح الهدايةِ مُسفرا
نجل الإمام أبي محمدٍ الذي ... أضحى به روضُ المكارمِ مُزهرا
ملكٌ إذا يغزو العدا ملأ الملا ... سُمْراً مُشَقّقة وجُرْداً ضُمّراً
وفوارساً تبدي التهللَ في الوغى ... فتريك مُبْتَسِمَ العدا مُستَعبرا
عُرْباً وعُجماً ما عجمت بنبعهم ... غَرْبَ العدا إلا انثنى مُتَكسّرا
مِنْ كلّ مغمدِ سيفه يوم الوغى ... في الهام مُلْبِسِهِ نجيعاً أحمرا
يخشى الكميُّ ظباه والكوماءُ إن ... هو أورد السيفَ الوغى أو أصدرا (٣)

---

(١) زبطرة مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلاد الروم ، استولى عليه الروم من يد العرب ، وسبيت فيه امرأة عربية صاحت : وامعتصماه !.. فخف المعتصم لنصرها ، والى ذلك يشير أبو تمام بقوله :

لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

والبيت: ١٩ من قصيدة حازم ايضاً يشير الى ذلك بقوله: « وبأن تريق لنصرها كأس الكرى » . والاعسر : هو عمر بن الخطاب ، وفي كلمة « ملك » تجوز فعمر ذو خلافة لا ملك ولكن ربما كانت الكلمة في الأصل : « عدل » .

(٢) بذ سيف بن ذي يزن الذي ثأر من الأحباش واستعان بالفرس .

(٣) الكوماء : الناقة ، وذلك أنه اذا أصدر سيفه من الحروب ، استعمله لنحر النياق تخرقاً في الكرم .

لا تَتَّقِي زأرَ الأُسود عِشاره ... وتُراعُ إنْ سَمعَتْ لدَيْهِ المِزْهرا
يهُدَى الامام العدل يَحيى المرتضى ... قد آنس الساري الصباح وأبصرا
ملكٌ نمته أرومــــةٌ حفصيَّةٌ ... طابت فروعاً حين طابت عُنصُرا
عمَّ الورى نَفْعاً فعرَّف عدْلُهُ ... في الأرض معروفاً وأنكر منكرا
فيشب بالهنـــديّ نيرانَ الوغى ... وبأعبقِ الهنديِّ نيران القِرى [١]
تَرِدُ الأمـــاني من نَداه مَشرعاً ... وتحُجّ حِجْراً من ذُرَاه ومشْعرا
فاضت ينابيعُ المعارف والندى ... منه مَعيناً ماؤُهــــا متفجـرا
وَهبَ العوارفَ منْ أتى مسترفداً ... وحبَا المعارفَ من أتى مستبصراً
علمٌ وحِلمٌ في نَدَىً وطلاقةٍ ... تَبْدُو على قَسِمَاتِ أبلجَ أزهرا
كالبرق مُشْتَمِلاً مِياهَ غمامةٍ ... عَلمٌ مُنيف قـــد توّسط أبحرَا
قد طبَّق الآفاقَ نشرُ ثنــــائه ... فكأنّ في الآفاق مسكاً أذْفَرا
يَهْدِي الجيوشَ إذا سرَتْ لألاؤُهُ ... فكأنَّ في مَسْراه بَدْراً مُقمرا
وتجود يُمْنَاه إذا شحَّ الحيَـــا ... فكأن في يُمناه غيثاً مُمْطِرا
عظُمَ الرَّجاء له ولكنْ جُودُهُ ... يَثني العظيم من المنى مستحقَراً
أخليفـــة الله الذي حفلَت به ... أمّ المنى خِلفـــاً ودرّت أشطرا [٢]
عادت بك الدُّنيا ترفّ نضارةً ... وتروقُ مرأىً في العيون ومَنْظرَا
لبِستْ بُرُودَ شَبابِهَا من بَعْدِ ما ... أُنْهِجْنَ وانصاتتْ كعاباً مُعْصرا [٣]
ما بُثّ مثلُ نَداك في نادٍ ولم ... يَقْرَعْ بمثل حُلاك داعٍ منبرا

---

(١) الهندي : السيف ، والهندي الثانية : العود الذكي الرائحة ، قال عدي بن زيد :
رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندي والغارا
(٢) الخلف : طرف الضرع ، أو حلمة ضرع الناقة ، أو الضرع نفسه .
(٣) انصاتت : استقامت وأقبلت واستوت قامتها .

جَلـَّتْ صفاتُك ان يُبيِّن واصفٌ   عنهـــا ولو بلسان قسٍ عبَّرا
مدحتك أفعالٌ زكتْ ومكارمٌ   فُقْنَ الكلام منظماً ومنثّرا
خطبتك أبكارُ الفتوحِ وكم لها   من خاطبٍ ولّتْهُ عِطفاً أزورا
وأجاب دعوتَك الكريمة كلُّ من   للخيرِ واليسرى سعى أو يُسِّرا
أذْكتْ بأحشاءِ العدا جَمراتها   بُشَرٌ ذَكَتْ في كل نادٍ مجمرا
تَرَكَتْ زفيرَ مَن اعتدى متطيِّراً   حذراً ودمعَ جُفُونِه مُتَحدِّرا
فعُيُونهمْ منهـــا تُفجَّر أعْيناً   وقلُوبُهُمْ منها تُسجّر أنْؤرا
فلِمَنْ أطاعَكَ أنْ يُقدِّمَ مؤمناً   ولمنْ عصاكمْ أن يخاف ويحذرا
فاهناْ ببُشرى طابَ نشرُ نسيمها   فأطابَ أنفاسَ الرياح وعطّرا
وامْدُدْ لإفواه الوفُودِ أناملاً   تَقْبيلُها يُسرٌ لمنْ قد أعسرا
زارتْ فزادتْ حين لمُ تغبب هوىً   غير الفتوح ، فلا أغبّتْ زوّرا
فبقيتَ مسروراً بما ساءَ العِـــدا   جَذلاً بإقبال المنى مُسْتَبْشِرا
يَزْدادُ مُلْكُكَ كل يومٍ بسطةً   ويُطاوِل الدُّنـيا مدىً والأدْهُرا

١٨

وله تهنئة بعيد الفطر قدمها للخليفة الحفصي المستنصر

أَهَلَّ هلالُ العيدِ منك إلى بدرِ ... ولاقاك منه بالطلاقة والبشرِ
هل العيد إلا مَوْعدٌ لك بالمُنى ... وباليمنِ والإقبال والفتح والنصر
ثلاثةُ أعيادٍ تجمعن للورى ... بوجهك، والفتحِ الذي هلَّ، والفطر
بوجهك شهر الفطرِ يُهدي بشائراً ... مؤرَّجةَ الأنفاسِ عاطرةَ النشر
تسابقُ أيّام المسرّات نحوكم ... فَمِنْ سابقٍ منها ومُوفٍ على الأثر
ومنهنّ يومــا موسمٍ وبشارةٍ ... كما شاءت الآمال جاءا على قَدْر
هنِئْتَ اقتبالاً بالفتوح، ولا عَدَتْ ... عِداك الرزايا من عوانٍ ومن بكر
ولا زلت تحمي ساحةَ الدين والهدى ... بكلِّ خميسٍ مستبيحٍ حمى الكفر
كتائبُ فيها الأسدُ في أَجَمَ القنا ... قدِ ادَّرَعتْ بالسابريَّةِ والصَّبر (١)
على مُنْعَلاتٍ بالأهلة قُرِّطتْ ... بأنجمِ قذفٍ من شبا الذُّبَّل السُّمْر
مَتى ما تَرِدْ ماءً تُرد ما وراءَه ... ولو خيّمَت يوماً على منشأ القطر
ويَغْنَيْنَ عن وِرْدِ المياه كأنها ... من الحلَقِ الماذي يَكْرَعْنَ في غُدر
فكم بهَوادِيها رمَى ثَغَرَ العدا ... إمام هُدىً ما زال يَحمي حمى الثّغْر

---

(١) السابرية : الدروع المنسوبة الى سابور .

سُلالةُ عبدِ الواحدِ الأوحد الذي   أبوهُ أبو حفصٍ وناهيكَ مِنْ فَخرِ

إمامٌ بجيش الرعب يغزو عُداتَه   فلو شاءَ لاستَغْنَى عن الجحفل المجر

ويسري إلى الأعداء كالبرق عَزْمه   إذا لم يكن نجمٌ لهول الدُّجى يسْري

ويــدأبُ في أرضٍ بثابت جيشه
ثَنَى الوعر مثلَ السَّهل ، والسَّهل كالوعر

وبالمنشآت البحرُ كالــبرّ ينثني   إذا ما غزا – والبرُّ بالجيش كالبحر

تقلَّـــدَ أمرَ المؤمنين بحقـه   فأضحى مُطاع النَّهي ممتثل الأمر

حكى عمرَ الفاروقَ هدياً وسيرةً   وفي دهْيِهِ الأعداء أربى على عمرو

جَرَى منه جَرْيَ الماء في الغصن حالما   فلم يُعزَ حلمٌ لابن صخرٍ ولا صخرِ [1]

تبـــارى يَداه في السماح ، فللمنى   ولليمن يمنـــاه ، ويسراه لليسر

يُبيد نفوساً أو يُفيــد نفائساً   بِسَيْبٍ له يَسْري ، وسيفٍ له يفري

غمَامٌ بلا دَجْنٍ ، وصُبْحٌ بلا دُجى   وَبذْلٌ بلا نَقْص ، وبحْرٌ بلا جزر

تلوحُ على ابنـــائه من صفاته   سماتٌ كضوءِ الشمس فاضَ على البدر

فقـــد شملتهمْ للسَّماح شمائلٌ   أميريـــةُ الأعراق حفصيّة النجر

فمِنْ آنفٍ شُمٍّ ، ومن أوْجهٍ زُهر   ومنْ نِعَمٍ بيضٍ ، ومن شِيمٍ غُرِّ

فما بالغٌ أدْنى سماحك ذُو نــدىً   ولا بالغٌ ادنى امتداحك ذو فِكْـر

ولو انه بالشعر [ ][2] مصرع   فواتح ما يهدي اليك من الشعر

وكمْ من يدٍ بيضاءَ منك بدَتْ لنا   فجلَّت سواد الخطب والحادثِ البكر

وكم حِكمةٍ غراءَ منك قضَتْ لنـا   بإبطال ما أبدى البيانُ من السحر

---

(١) معاوية بن ابي سفيان مضرب المثل في الحلم وصخر هو ابو سفيان .

(٢) بياض بالاصل .

فهل آيتا موسى الكليم لديكمُ　　بما حزتَ من حكم ومن نائل غمر
أصاختْ لداعي هديكم أنفسُ الورى　　وأُشعِرَت الإخلاصَ في السرّ والجهر
قضى الله إذ ولاّك أمرَ عباده　　بتخلْيدِ هذا الأمر فيكم الى الحشر
فقد ضمنتْ تمكينَ ما اللهُ مرتضٍ　　من الدّين باستخلافكم عدة الذكر
إمـــامَ الهدى دُمْ للديانة والدّنا　　ولا زلتَ محفوفاً بأنجمِك الزُّهر
ولا بَرَحتْ غر الفتوح بَسعْدِكمْ　　تَوَالى اتّساقاً مثلَ منتظِم الدُّر

١٩

زيارة قدسية

قفْ بـــين قبرِ محمَّدٍ والمنـبر   وقُلِ السَّلام على السراج الأنور
ألثم ثرى قبرِ النبيِّ محمَّــدٍ   وبـــذلك العَفَرِ الأسرَّةَ عفرِ (١)
واستنشِ طيبَ نسيمِهِ وأنعمْ به   واجعَلهُ خيرَ ذخيرَةٍ للمحشَرِ
مستنزلاً لجميـــلِ عفوِ إلاهِهِ   عَنْ سالفَاتِ ذنوبِهِ مُستغفِرِ
واستَنشِ طيبَ نسيمِ طيبة في الصَّبا   واسألْ نسيمَ الرِّيح عَنها تُخبَرِ
وإذا نظرْتَ إلى سَنَا إشراقِها   فأهِلَّ شكْراً للإلاهِ وكبرِ
وانظرْ بمسجده محلَّ سجودِهِ   وإلى مقـــام قِيامِهِ فيه انظُرِ
وانظُرْ لأكرم هالةٍ قدْ أحدَقتْ   أنوارُها بضِياءِ بــدرٍ مقمر
صلّى عليه الله ما صدَعَ الدجى   بضيائه فلقُ الصباحِ المسفِرِ

---

(١) العفر : التراب .

٣٠

وقال يمدح الامير أبا يحيى بعد فتح سبتة ويحثه على إعادة فتح الأندلس ، والقصيدة من بحر البسيط

الصُّبح عندك ليلٌ والدَّجى نورُ إنّ الأوانس عنْ ضدِّ الصِّبا نُور (١)
آنستَ نوراً على ليلِ الشباب فلم يُؤْنِسك أنسُ دجاه ذلك النور
فليتَ فَوْدِيَ لم تُشرِقْ به شُهُبٌ ولا انجلتْ عنه هاتيكَ الدَّياجير
نأتْ فناب شبابي عندها نُوبٌ جَفْني بها ساهرٌ والقلب مصبور (٢)
٥ ذعرتُ سربي بتَوديع الأوانسِ لي كما يُفاجيكَ سِربٌ وهو مذعور
يا دُرَّة الصّدَف الطّافي على لُجَجٍ للآل يغرق فيها النّور والنُّور
أجرى النسيبَ نسيماً والدموع حياً غصن يروح مَرُوحٌ منكِ ممطور (٣)
تاهت علىالشهبِ شهبٌ منك طالعةٌ حيث القلائدُ تُزهى والتقاصير (٤)
وعقدُ درٍّ كأنَّ النحرَ منك به صُبْحٌ بكوكبه الدُّريِّ منحور
١٠ ماذا من الحسن في حلٍّ ومُرْتحَلٍ حوَتْهُ تلك الحوايا والمقاصير (٥)

(١) النور : جمع نوار وهي النافرة من الظباء وغيرها .
(٢) مصبور : محبوس أو مقتول صبراً أو ملزم مكره على الشيء .
(٣) مروح : أصابته الريح ، قال منظور بن مرثد الأسدي ، « مكتئب اللون مروح ممطور » .
(٤) التقاصير :جمع تقصار وتقصارة وهي قلادة شبيهة بالمخنقة.
(٥) المقاصير : الغرفات .

كأنَّما الآل تبدو فيه أردية ٌ زُرْقٌ صوارُ المها فيها تصاوير (١)
كفى أسىً أنَّ رَبْعِ الأُنسِ بعدهمُ
بِرَبْرَبِ الوَحشِ بعد الأنسِ معمور
ربْعٌ تُجِدُّ لعيني كل مُعْصِرةٍ من رسمه مـا تُعَفِّيه الأعاصير (٢)
مِنْ كلِّ غرَّاءَ مبيّضٍ جَوَانِبُها بالوَدْقِ مشرقةٌ منهـا الأسارير
اذا استدار سناها خِلتَهُ ذهبـاً دارتْ على مِعْصَمٍ منه أساوير
كأنَّما قعقعتْ في جَوْزِهِ وَجَلتْ حُلى مَعَاصِمِها البيضُ المقَاصِير (٣)
دارُ التي لم تزلْ تَدْنُو بِها سِنَةٌ ذنبُ الليالي بهـا في البعد مغفور
فاعجبْ لِحلمٍ بهقد بات يُؤنِسُ مَنْ مَثواهُ تُونسَ مَنْ مثواهُ تُدْمير (٤)
فجمَّعتْنا كما كانت تُجمِّعنـا تلكُ المنازل والأوطان والدُّور
غُصْنٌ من البان لمَّا تَهْتَصِرْه يدٌ لكنَّهُ بضَميرِ النفسِ مَهْصور
فلَسْتُ كافِرَ نعمى منه حِينَ غدَا مِسْكُ الدُّجى وهو بالكافور مكفور
وقد شدا في فروعِ الصبح حين بدا في دُهْمَةِ الليل كالعصفورِ عصفور
يَاليْتَ أن بَياضَ الصبحِ ما سطعت في أُخرَياتِ الدُجى منه تباشير
فَفِي مُحيّا أبي يَحْيَى الأميرِ لنـا إنْ لَمْ ينوِّر بياضُ الصبحِ تنوير
وَجهٌ كشمسِ الضُحى، نورالصباح بما قد فاضَ من نُوره في الأرض مبهور
وَبَحْرُ جودٍ اذا فاضتْ مواهبُه فالبرُّ منْ فَيضِها والبَحرُ مغمور
مَلكٌ لهُ الهِممُ العليا إليه عَطتْ وكلُّ مُستَعظِمٍ فيهنَّ مَحْقُور (٥)

---

(١) الصوار : القطيع من بقر الوحش .
(٢) المعصرة : السحابة .
(٣) المقاصير : النساء المحجبات المصونات .
(٤) تدمير بالأندلس كورة في شرقها تضم مرسية من المدن ، وقرى كثيرة منها ألش ومنتانة وكتنده ولقنت وأريولة وغيرها .
(٥) عطت : دنت ومالت .

مُفرِّق جامع شملَيْ لُهاً ونُهىً   نَمَا به ونَماه الخَيْر والخِير
فشيمةُ الكفِّ منه سطوةٌ وندىً   وشيمةُ النفس تقديسٌ وتطهير
ففي الغمائمِ خِيمٌ من مكارمه   وفي النّواسمِ من ريّاه تعطير
إقبالُه غادرَ الأعداءَ مقبلةً   أيّان أحكمَ منه الرأيَ تدبير
قد أمّنَ الدينَ والدُّنيا مُقلِّدُه   عهدَ الهُدَى فالتقى سيدٌ ويَعفور (١)
عهدٌ تلقاه من هادٍ وليٍّ هدىً   على سجايا التُّقى والبرِّ مفطور
فَراقَ نظمُ الأماني والأمان معاً   وظل نظْمُ الأعادي وهو منثور
ففي يمين العُلا منه شهابُ هدىً   ومُرْهفٌ من سيوف الله مطرور (٢)
مَلْكٌ له كلما جرَّت كتائبها   أذْيالَها عن صريحِ الجِدِّ تشمير
فللصّوارم إرواءٌ براحته   في حيث للبأس إيراءٌ وتسعير
لله آلُ أبي حفصٍ فكلهمُ   غدا بلألائه في الدهر مشهور
بحارُ علمٍ ومَذْكى نارِ كلِّ وغىً   بالمرهفاتِ وحرُّ الحربِ مسجور
فالعلمُ يؤثَرُ من ناديهمُ أبداً   حيثُ الحديثُ عن المأثورِ مأثور
أحيا العفاةَ وقد أردى العداة معاً   جودٌ مرجّى وبأسٌ منك محذور
سَيْبٌ وسيفٌ فذا طَوْقُ المُطيع وذا   طوقٌ على جِيدِ مَنْ يعصيك مزرور
فلا مماتَ ولا مَحْيا بغيرِهما   يوماً لعاصيك أو عافيك مقدور
وليّ عهدِ الهدَى إن الفتوح لكم   مُعجّلٌ قادمٌ منها ومنظور
وفتح سبتةَ قد وافاك يقدمها   كما اقتفتْ أثرَ الحادي بها العير
فاهنأْ بغرِّ فتوحٍ طالعَتْكَ كما   تفتّحتْ في ذُرَى الرّوضِ الأزاهير

---

(١) السيد : الذئب ، واليعفور : الظبي .

(٢) مطرور : محدد مشحوذ .

أيْـِنْ بها بيْعَةً حزبُ الضلالِ شَجٍ ... بها وحزبُ الهدى جَذْلان مسرور

كم للجزيرة من بُشرى وتهنئةٍ ... عنها عيونُ الأماني نحوها صور

فجدِّدوا مِنْ رسومٍ للهدى درست ... هناك يستنُّ فيهـا الرومُ والمور (١)

بكل جَوْنٍ زَحوفٍ بالحصى زجلٍ ... سامٍ تخاشعُ فيـه الأكمُ والقُور (٢)

وشزَّبٍ أبقت الغـاياتُ أعْيُنَها ... عوراً وقـد أضمرت منها المضامير

يرمي العدا بهواديـا إمامُ هدىً ... لله مستَنْصر ، بالله منصور

وفرعُ مجدٍ زكا طيباً ولا عجبٌ ... من طيبِ فرعٍ زكتْ منه العناصير

جاءتك تقصُر عمّا فيك من كرمٍ ... بِكرٌ عليها جميعُ الحسن مقصور

سَوادُها في بياض الطرس إن سُطِرتْ ... في مُهْرَقٍ بسواد الطرف ممهور

هجرتُ نومِيَ إذ هاجرت نحوكم ... حيث المقيل بَديلٌ منهُ تَهْجيرُ

بكل بيداءَ أنفاسُ الرِّياح بها ... خوافتٌ ، وعزيفُ الجنِّ مجهور

يظلُّ حرباؤها للشمسِ مرتقباً ... كأنه في احتـدام الحرِّ مقرور

فكم بلادٍ طويناهـا وكم أملٍ ... قد ظلَّ منذ طواها وهو منشور

لا زلتَ في كلِّ ما تنْهى وتأمرُهُ ... مصرّفاتٌ بمـا تهوى المقاديرُ

---

(١) المور – والموريشكو – لفظة اندلسية Morisco-Maures تطلق على عرب الاندلس في آخر ايام دولتهم .

(٢) القور : جمع قارة وهي الجبل الصغير .

٢١

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء *

وممسِيضةِ الأثوابِ تـُدعى بوردةٍ   تقلُّ لها الأشياءُ عند التماسها
أنافتْ على ساقٍ لتشربَ عندما   أشارت لها كفُّ البروق بكاسها
كجاريةٍ قامت ببيضِ غلائلٍ   مُرَفـّعَةٍ أذيالهــَـا حول راسها

* الأبيات الثلاثة في اختصار القدح المعلى : ٢١ وأزهار الرياض ٣ : ١٧٨ .

٢٢

وله رحمة الله عليه يمدح ابا زكريا يحيى بن ابي حفص
والقصيدة من الطويل

مُنى النفس يدني منكمُ والنّوى تقصي ... فكمْ ذا يُطيعُ الدهرُ فيكم وكم يعصي
يُقرب في حال التّنائي مزارَكم ... فيدنو ويَنأى بالخيال وبالشخص
فَيَنْقَادُ للأحلام منكم وللمنى ... ويأبى على المشتاق فيكم ويَستعصي
وكم رُمت أعصي في هواكم فلم أطقْ ... خطوباً خطايا الدّهر فيهنّ لا أُحصي
وكنتُ تأوّلتُ النوى انّها ثَوى ... وهل بَعد نصّ العيس أحتاجُ للنص [1]
فكم سَهدّتْ من مجتلى سَهر الحِجا ... ببدرٍ على غصنٍ، وغُصنٍ على دِعص
وتظهِرُ تَرْغِيداً ومنتصّة الطلى ... تَريعُ إذا ريعَتْ لأغيدَ مُنتصّ
وفرعٍ يُريك الليلَ يغشى نهاره ... أو الصبح تجلوه لدى الحلّ والعَقصِ
فما أمرض القلب الذي قد أغصّه ... تملّؤه من ذلك المقضم الرّخص
وما افصَح الوشحَ التي تشتكي النوى ... على حال قُربٍ من خصور لها خُمص
كأنْ لم تَمَدّدْ، بعد ما قلّصتْ بكم ... ظلالُ المنى، أيدي النجائب والقُلُصِ [2]
ولم تعدُ بي قرواءُ تُمْسَحُ بالطلا ... وتمحصُ في عرض الفلا أيّما مَحْص [3]

(١) تفاءل فجعل « نوى » على التأول والتصحيف « ثوى » – أي اقامة – ، ولكن سير العيس أكد له أن النوى رحلة وفرقة فلم يعد في حاجة إلى تصحيف النص وتأويله .

(٢) القلص : جمع قلوص وهي الناقة الفتية .

(٣) القرواء : الناقة الطويلة الظهر ؛ تمحص : تسرع في العدو ؛ تمسح بالطلا : هذا أقرب وجوه القراءة الى الأصل ، والطلا هنا : القطران ، وعندي أنها ربما قرئت : تنفح في البرى ، أو تضرح بالحصى ، أو شيئاً من هذا القبيل .

ولم تختدعْ عينَ الرقيبِ وسمعَه ... بوَخْدٍ على وَخْدٍ ، ونصٍّ على نصٍّ
تخفُّ وتخفي الوطء عن كل مسمع ... فآثارهـــا تخفى على كل مقتص
وكم زرْتُ ربَّات الحجال [...] ... برأيِ مُطاعٍ في الهوى وحجىً معْصِي
و قصَّتْ ، ولكن ما اهتدت رقباؤها ... الى أثرَيْنَا بالقِيافـــة والقَصِّ
فيحكي انسيابَ الصلِّ طرفي إذا سرى ... إليها ، وطرفي إن سما خِلسة اللص
بعزميَ استدني البعيـــد وإنني ... كما النجم مستقص له غير مستعص
وزَهّدَني في العيشة الخفْضِ أنني ... على ربع كورٍ في ذَرى العيس ذو حرص
وكم عاقل اضحى بمقعد حرصِه ... بصيراً وقد اعيا على الحزْر والخرْص[1]
بحيث ظبا الأجفان رمــدٌ سوافح ... دماً وعيون السُّمرِ كالأعين الرمص
ويومٍ كيومِ السبت لمْ ترجُ بَعــده ... عداتُك ان تشتقَّ في الرَّمس من رمصِ
فان رفعوا آنافهم جُدِعت ، وإنْ ... أمال الهوى أعناقهم فهي للوقص
فرَّويت منهم كلَّ ظامٍ كعوبه ... الى الدم غرثان الشبا خَرِص الخُرص[2]
بأيـــدي أسود في متون سوابقٍ ... سوابحَ في آذيٍّ ماذيةٍ دلص[3]
تدوس وكور العفر في ظلل المنى ... فتوشك ان تعزى الى العُصُم العقص[4]
جرت أنجم العاصي بنحسٍ لدن جرت ... على السهل من أرجائها وعلى الفحص[5]
أطلّتْ عليه الخيلُ أهدى من القطا ... فظلَّ عن المنجاة أحيرَ من درْص[6]

(١) الخرص : الحزر والتقدير بظن .
(٢) الخرص : الجائع ، الخرص : السنان
(٣) الآذي : التيار ، الماذية : الدروع ، الدلص : الملس.
(٤) العصم : الوعول ؛ العقص : التي التوت قرونها نحو آذانها .
(٥) الفحص : ما استوى من الأرض .
(٦) الدرص : ولد الفأر واليربوع والقنفذ ونحوها .

وأَصبح من آمال دنيــاه ينبري   إلى أَمدٍ شحط على أمل شحص
فليس بها ما نابه الدهرَ ناسياً   وما ناله من شدة الوطء والوهص
متى يفرصِ الليثُ القنيص وينفلتْ   يَرُعْهُ متى ما يَلْتفِتْ أثر الفرص
حقيقة نصر أكذبتْ كلَّ مُمترٍ   وجاءته بالأمر اليقين من القَصّ
غدا صفر الأصفار ممتلئاً بهــا   بشائر قد طابتْ لمُصْغٍ ومُقتَصّ
فلو طرقت قُسّاً وقد قام خاطباً   لأصْغى لها سمعاً وقال لها قُصّي
عسى الله أن ينتاشَ أندلساً بهـا   ويأخذ فيها للهدى أَخذ مُقتصّ
فيُضحي بها شرقُ الجزيرة مشرقاً   وتطلع أنوار البشائرِ في حمص
أميرَ الهدى من يدنُ منك فإنه   بقربك عن صرف الحوادث قد أُقصي
إليكم سرت بي أينُقٌ خُمُص السرى   تجوبُ الفلا أنضاؤها أَيَّمـا خمص
قلاصٌ كخيطانٍ من النبع لم تزل   لها البيد في هصر عنيف وفي رهص
تشكّى السُّرى والشهبُ للصبـح تشتكي   سُرى الغمص منهـا وهي كالأعين الغمص
الى بحرك الطامي على الورد أوردت   مياهاً لها غور عن الرشف والمصّ
بِرَيْدٍ تملُّ الريح فيه من السُّرى   وتسأم فيه الراقِصات من الرَّقص
مهيبٍ كأن الطير موفيةٌ بــه   على قفصٍ، والظبيُ مُشْفٍ على القنص
تُجلّي دياجيه اللصوصُ بأنصُلٍ   حِـدادٍ كأنياب المجلحة اللُّص[1]
كثيرٌ شخوصُ الطرف من مَلقٍ[2] به   رميٌّ قليلٍ فوق أظهرِه شخص
اذا رَقي الحرباء منــبر عوده   ليخطب والجرباء وقادَةُ القرص[3]
كأنا إذا شِدْنا بُنىً لمقيلِنـــا   من الخطِّ قلنا في بيوت منٍ الخص

---

(١) المجلحة : الجريئة الشديدة في اقدامها يعني الذئاب ، اللص : جمع ألص ، وهو صفة من اللصص ، وهي تقارب ما بين الأضراس   (٢) الملق : الصفا الأملس
(٣) الجرباء : السماء الدنيا .

أقولُ وقـدُ خبّت بنا أرحبيّةٌ   عدت عن ورود الخمس تشكو من الخمص[1]
وماءُ رَوَاياهـا كماءِ عيونهـــا   تَراَفصه أيدي الثرى ايما رفص[2]
ولم تبق منه البيـدُ غيرَ صُبابةٍ   وسُؤْرٍ بأنفاس الهواجر ممتصّ
وتكرو على حد الكُدا غير كزةٍ   ولا ذات نبو في الزمـام ولا قمص
وردتِ خصيباً فارتضي وارتعي به   ودونَكِ من صرف الحوادث فاقتصي
ويا فِكري اعتامي اللآلىء وانتقي   وفي لبَّة العلياء أبكارَهـــا نُصي

(٣) الارحبية : ابل منسوبة الى ارحب وهم بطن من همدان ، ويحتمل أن يكون ارحب فحلاً تنسب اليه النجائب ، الخمس : ورود الابل كل خامس يوم من مرعاها ، الخمص : الضمور من جوع أو غيره .
(٤) الروايا : المزاد التي للماء . تترافص الماء : تتناوبه .

٢٣

وقال أيضاً ، يمدح أمير المؤمنين أبا عبدالله المذكور *

أمن بارقٍ أوْرَى بجنح الدُّجى سِقطا ... تذكرتَ مَنْ حلّ الأبارق فالسقطا
وبانَ ، ولكن لم يبِنْ عنك ذكره ... وشطّ ، ولكن طيفُه عنك ما شطّا
حبيب لو أنّ البدرَ جاراه في مدىً ... من الحسن ، لاستدنى مدى البدر واستبطا
إذا انتجعت مرعى خصيباً ركابه ... غدا لحظُ عيني يشتكي الجدب والقحطا
لقد أسرعت عني المطيُّ بشادنٍ ... تسرَّعَ في قتلِ النفوسِ وما أبطا
ظننت الفلا دار ابن ذي يزن بها ... وخلت المحاريب الهوادج والغُبْطا
وكم دُمْيةٍ للحُسن فيها وصورةٍ ... تروق ، وتمثالٍ من الحسن قد خُطّا
شمائل لاحت كالخمائل بهجةً ... سقيطُ الحَيَا فيهنّ لا يسأمُ السقطا
توسّد غزلان الأوانس والمها ... به الوشي والديباج لا السّدر والأرطى
ولمْ يسْبِ قلبي غير أبهرِها سنىً ... وأطولها جيداً وأخفقها قرطاً
فيا ربّة الأحداج عوجي لتعلمي ... ـ وما بك جهلٌ ـ أن سَهْمَك ما أخطا
قفي تستبيني ما بعينيكِ من ضنى ... كجسمي وعنوانَ الهوى فيه مختطا
فلم أرَ أعدى منك لحظاً وناظراً ... لقلبي ولا أعدى عليه ولا أسطا
سقى الله عيشاً قد سقانا من الهوى ... كؤوساً بمعسول اللّمى خُلِطتْ خلطا

---

* القصيدة في نفح الطيب ٣ : ٣٤١ – ٣٤٦ والأبيات ١ – ٣ ، ١٤ في أزهار الرياض ٣ : ١٧٧ .

وكمْ جنـّةٍ قد رُدتُ في ظلّ كافرٍ فلم أجزِ ما أهداهُ كفراً ولا غمطا
وكم ليــلة قاسيتها نابغيــةٍ إلى أن بدت شِيباً ذوائبها شُمْطا
وبتُّ أظنُّ الشهب مثلي لها هوىً وأغبطها في طول أُلفتها غبطا
على أنهـــا مثلي عزيزة مطلب ومن ذا الذي ما شاء من دهره يُعطى
كأنّ الثريّا كاعبٌ أزمعَتْ نوىً وأمّتْ بأقصى الغرب منزلةً شحطا
كأن نجومَ الهقعــة الزهرَ هــودج لها عن ذرى الحَرْف المُناخةِ قد حُطّا
كأنّ رشاءَ الدلو رشوة خاطبٍ لها جعلَ الأشراط في مهرها شرطا
كأن السُّها قد دقّ من فرط شوقه إليها كما قد دقّق الكاتِبُ النقطا
كأن سهيلاً إذ تناءت وأنجدت غداً يائساً منهـــا فأتهم وانحطا
كأن خفوقَ القلبِ قلبُ متيمٍ تعدّى عليه الدّهر في البَين واشتطا
كأن كلا النِسرين قد ريع مذ رأى هلال الدجى يهوي له مخلبا سَلْطا
كأن الذي ضم القـــوادم منهما هوى واقعاً للأرض، أو قصّ، أو قُطا
كأنّ أخاه رام فوْتاً أمامـــه فلم يَعدُ أنْ مدّ الجناح وأنْ مطا
كأنّ بياض الصُّبْح مِعصَمُ غادةٍ جنَتْ يدُها أزهارَ زُهر الدُّجى لقطا
كأنّ ضياء الشمس وَجْهُ إمامِنـا إذا ازداد بشراً في الوغى، وإذا أعطى
محمّدٌ الهادي الذي أنطق الوَرى ثناءً بما أسدى إليهم وما أنْطى
إمام غدا شمسَ الأعالي وبَدْرَها وقد أصبحتْ زهرُ النجوم له رهْطا
جميل المحيـــا مجمل طيب ذكره يُعاطي سروراً كالحيّا ويُستَعْطى
إذا ما الزّمان الجعد أبدى عبوسه أرانا المحيا الطلق والخُلقَ السّبطا
كلا أبوي حَفْصٍ نماه إلى العلا فأصبح عن مرقاته النّجْمُ مُنحطا
بسياه تدري أنّ كعباً جدودُه وإنْ هُو لم يذكر رزاحاً ولا قرطا

إذا قبض الروعُ الوجوهَ فوجهُهُ يزيد ، لكون النصر نصلاً له ، بسطا
به تترك الأبطال صرعى لدى الوغى كأنْ قد سُقوا من خمر بابل إسفنطا
تراه إذا يُعطي الرّغائب باسماً له جذلٌ يربي على جذل المُعْطَى
وكم عنقٍ قد قُلِدّتْ بنواله فريداً ، وقد كانت قلادتها لطّا (١)
متى ما تقِسْ جودَ الكرام بجُودِهِ فبالبحرِ قايستَ الوقيعة والوقْطا (٢)
يشفّ له عن كلّ غيب حِجابه فتحسبُه دونَ المحجَّب ما لطا (٣)
تطيع الليالي أمره في عصابة وتردي أعاديه أساودها نشطا (٤)
وتمضِي عليهم سيفه وسنانه فتبري الكلى طعناً وتفري الطلى قطّا
فكيف ترجت غِرَّةً منه فِرْقةٌ غدا عِزُّها ذلاً ورفعتُها هَبْطا
وكم بالنهى والحلم غطّى عليهمُ إلى أنْ جنَوا ذنباً على الحلم قد غطى
فأمطاهم دُهْمَ الحديد وطالما اناهمُ دُهْمَ الجيادَ وما أمطى
ورام لهم هَدْياً ، ولكنَّهم أبَوْا بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغي المثوبة والرضا ولكن أبوا إلا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر جنة بابه لما اعتاض منها أهلها الاثل والخمطا (٥)
هو الناصر المنصور والملك الذي أعاد شباب الدهر من بعدما أشمطا
أصاختْ له الأيامُ سمعاً وطاعةً وأحكمتِ الدنيا له عهدَها ربطا
فلا بدَّ من أنْ يملك الأرضَ كلها وان تملأ الدنيا إيالته قسطاً (٦)
ويغزُوَ في آفاق أندلسَ العِدا بجيشٍ تخطُّ الأرضَ ذُبَّلُهُ خطا

---

(١) اللط : العقد والقلادة ، وقيل هو القلادة من حب الحنظل المصبغ .
(٢) الوقيعة : نقرة يستنقع الماء فيها ؛ والوقط : حوض يستنقع فيه الماء .
(٣) لط : أسدل دونه الحجاب .
(٤) الأساود : الحيات ، اضافها الى الليالي ؛ والنشط : اللدغ .
(٥) الخمط: ضرب من الأراك، وفي التنزيل (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أ كل خمطوأثل)
(٦) القسط : العدل .

وكلُّ جَوادٍ خفَّ سنْبكه فما   يمسُّ الثرى إلا مخالسةً فرطا (١)
يؤم بهـــا الأعداء مَلْكٌ أمامَه   من الرعب جيش يسرع السيرَ إن أبطا
ويرمي جبال الفتح من شطِّ سبتة   بهـــا فتوافي سُبَّقاً ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى ، وطارق   وموسى به رَحلاً لغزو العدا حطا
وسعيك يُنسي ذكر سعيهما بـــه   ويوسع مسعى المشركين بها حبطا
ويوقع في الأعــــداء أعظم وقعة   فمـــا تملأ الأسماع طير الملا لغطا
تجاوبُ سحم الطير فيهـا وشهبها   كما راطن الزنج النبيط أو القبطـا
وتنكر فيها الجنّ والأرض أعيُنٌ   ترى الجنَّ ناراً ، والصعيد دماً عبطا
فتخضب منهم من أشابت بخوفها   نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواءَ العدا كلُّ ضاربٍ   حسامٍ إذا لاقى الطلى حدُّه قطـا (٢)
وكل كميّ كلما خطَّ صفحةً   بسيفٍ غدا بالرمح ينقطُ ما خطا
شجاعٌ إذا التفّ الرماحان مثل ما   تـُغلغلُ في أسنانِ مُشْطٍ يدٌ مشط
إذا ما رَجَتْ منه أعاديه غِرَّةً   رأتْ دونما تَرْجو القتادة والخرطا
فيجدعُ آنافَ العُداةِ بسيفه   ويُنْشِقها بالرُّمح ريحَ الرَّدى سعطا
يبيـــد الأعادي سطوةً ومكيـــدةً
فيَحْكي الأسود الغُلْبَ والأذؤب المُعْطا
سرى في طِلابِ المَعْلُوَاتِ فلمْ يزل   يمدّ خطىً مبسوطة ويـداً بسطا
ولو نَازَعتْ يُمناه جذبا شمالَه   لبوسا من الماذيِّ لانعَقَّ وانعطّا
يصولُ بخطيٍّ لكل مُرشّة   بـــه أثر يعزوه للحيّة الرقطا

---

(١) الفرط : السبق والاسراع .
(٢) النفح : كل صارم .

قنا تُبْصِر الآكام فُرعاً كواسياً   بهنَّ وقد أُبصِرْنَ عاريةً مُرْطا
اذا نسبت للخطّ او لرُدَيْنَةٍ   نسبن الى العليا ردينـةَ والخطا
كُماةٌ حُماةٌ مـا يزال الى الوغى   حنينٌ لهم ما حنّ نضوٌ وما أطّا
عليهم نسيجُ السابغـاتِ كأنمّا   جلودٌ على الحيّاتِ قد كُشِطتْ كشطا
اذا لمعٌ للشمسِ لاحتْ عليهمُ   رأيتَ صِلالاً أُلبست حُللاً رُقطا
تَدَحرَجَ كالزّاووق لينا ومثله   ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا غطّى البلادَ عبابُهـا   وأمواجها غطّتَ نفوس العدا غطا
فـكم قد حكت في حصر حصنٍ ومعقل   وشاحاً على خصرٍ فأوسعْنَهُ ضغطا
وخيلٌ كأمثالِ النعام تخالهـا   لأفراطِ لوك اللُّجْمِ تبغي لها سرطا
تَخيَّلُها فتْخاً اذا انبعثت وان   سَبَحْنَ بماءٍ خلتها خفّةً بَطّا
فينعقّ منهـا مرْط كل عجاجة   موازع لا يسأمْنَ مراً ولا مرطا
وكم خالطت سُمْرَ الرماح وأوردت   مياهاً غدتْ حُمْرُ الدماءِ لها خلطا
يُجِمُّونها ليلَ السُّرى فاذا دَعوْا   نزَالِ امتطوْا منهنّ أشرف ما يُمطى
وكم جنبوها خلف معتادة السُّرى   غواربَ لم تَعْرِفْ زفيراً ولا نحطا [١]
وقد وسعت أعناقهن أزمـة   بطول السرى حتى تظن بها علطا
إذا أوقدتْ ناراً بقذف الحصى حكت   [وبحر الدجى طام سفينا] رمت نفطا
إمامَ الهدى أعليْتَ الدّين مَعْلَماً   وسُمْتَ العدا من بعد رفعتِهم حطّا
وألقَحْتَهُمْ عُقْمَ المنى عن حيالها   فما ولدت عقماً ولا نتجت سقطا
وصيرتمُ في عقلة سارح العـدا   وسرحتمُ الآمالَ من عُقلها نَشْطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا   بِعَدْلِكَ لا يُعْدَى عليه ولا يُسطى

---

(١) النفح : عوارف لم تسمع لها أذن نحطا .

ففي كل حال تؤثر القسط جاهداً   على سنن التقوى ، وتجتنب القسطا
فبُوركتَ سبطاً جدّه عمر الرضى   وبوركَ من جدٍّ غدوتَ له سبطا
تلوتَ الإمام العدل يحيى فلم تزلْ   تزيدُ أمورَ الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحاً بعده واستقامة   وتوطيةً نهجَ السبيل الذي وطّا
وما كان أبقى غايةً غيرَ أنه   حُبيتَ بما لم يُحبَ خلقٌ ولم يُعطا
اذا دُولُ الأملاكِ في الفخرِ نُظّمَتْ   على نَسَقٍ عقداً فدُولتُكَ الوسطى

٢٤

وقال ايضاً يمدحه[١]

في كل أفق من صباح دجاكم   نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما   كسيتَهُ من حِبَرِ المديح وريطه

(١) البيتان في النفح ٣ : ٣٤٦ .

٢٥

وله عفا الله عنه

نَبِّهْ جفونك للصَّبوح وأيقظِ وانظرْ نهايةَ كلِّ حسن والحظ
وَاعجَبْ لأدهم بالمغاربِ مُجفلٍ قد أمَّ أشهبَ بالمشارق ألمظ [1]
والدَّهر كالحدق النواعِس سحْرَةً والزهرُ مثلُ الناظر المتيقظ
والصُّبح يُشرق شَرْقهُ من فَيْضِه والشُّهْبُ فيه كالنفوس القيَّظ
وبدت على الشَّفَق النجومُ كأنَّها شَرَرٌ تطايرَ عن حَريقٍ مُلتظ
والبرق قد رُقِمَتْ به حُللُ الدُّجى وقدِ انبرَى كالأرقمِ المتلظظ [2]
والليثُ قد بسط الذِّراع ومدَّها من خوفِ إدراك السِّماك الململظ [3]
والجَدْيُ مثلُ الفرقدَينِ يخاف أن يسطو عليه الليث سِطوة مُحْفَظ
وتقدَّم الحادي الثريا خيفةً من ضَيْغَم في إثْرِها متلمظ
وتنكّبَ الزوراءَ سعدٌ ذابحٌ يرمي النعام بأسهمٍ لم تُرْعَظ [4]
فكأنَّ أسراب النَّعام بإثرها من خوف أَسهُمِهِ ذواتُ تحفّظ
فاشربْ كؤوسَ الرّاح من يدِ شادنٍ يَسْبِي بمُهْجتِه عُيونَ اللحَّظ
ورشاً تزيد تغيظاً أجفانه إذ لا يقابل ظُلْمَها بتغيّظ

---

(١) ألمظ : في جحفلته شيء من بياض .
(٢) المتلظظ : الحية التي تحرك رأسها من شدة اغتباطها .
(٣) الململظ : الأبيض .
(٤) ترعظ : ينكسر رعظها وهو مدخل النصل في السهم .

سَكَنَ النواظرَ والقلوبَ خيـالُه   سكنى مُشَتَّتٍ منهما ومُقَيِّظِ
تُجْلى لآلىء لفظِه في مسقط   من مسمعٍ ، أو ملقط من مَلْفَظِ
فجميع مَنْ نال السرور بلفظه   وبلحظه ، بالبِشرِ والبُشْرى حَظِي
فيَفُوقُ نفْحَةَ كلِّ مسكٍ نَشْرُهُ   ويفوتُ مدحةَ مادحٍ ومُقَرِّظ
مِنْ لَحْظِهِ لَحْظُ الشقيق ، ولفظُه   إنْ خاطب العشاق لفظُ المُغْلِظ
حفظتْ عهودَ هواهُ أبناء الهوى   فاعجبْ لحفظِ عهودِ مَنْ لمْ يَحْفَظ
حَمِّلْ كُمَيْتَ الرَّاحِ همَّكَ فهي إنْ   حَمَّلْتَها أعْباءَهُ لم تُبْهَظ
قد حبِّبت مُقلاً مِنَ الحَبَبِ الذي   فيها طفا مثل العيون الجُحَّظ
تستيقظ السرَّاءُ إنْ هي أيْقَظَتْ   وتُقيمُ يُتْمَ النفسِ بَعْدَ تيقُّظ
وترى الهمومَ طوارقاً فتَذُودُها   عنّا ، وتلحظ كلَّ ما لم يُلْحَظ
ومع التعجّب فاعتبرْ في منظرٍ   وعَظَتْ به الأيامُ مَنْ لم يُوعظ
واصِخْ لِما يُملي لسان الحال مِنْ   حِكَمٍ ورُبَّ مقالةٍ لم تُلْفَظ
ولربّما غَنِيَ الفتى بالعقل عَنْ   وعْظِ الخُطوبِ وعَنْ خطاب الوعّظ
لا تُخْلِ موضعَ عِبْرَةٍ من عَبْرةٍ   واخشَعْ ولِنْ قلْباً ولا تستَغْلِظ
وتَرَجَّ عفْوَ اللهِ أن يمحو الذي   خطّتْهُ أيدي الكاتِبينَ الحُفَّظ

٢٦

وله عفا الله عنه ، مهنئاً ابا زكريا
يحيى بمناسبة العيد ، وهي من البسيط [*]

عيـــدٌ بأسعدِ نجمٍ طالعٍ طَلعاً ... فأطلعَ الصنعَ والبشرى عليك معاً
عادت به عادةُ الحسنى وأقدَمه ... سعدٌ تأنق في الصنع الذي صنعا
تقبّل اللهُ محمودَ الدعاءِ لـكم ... مِمّنْ غدا ساجداً فيه ومن ركعا
يومٌ تضاعفتِ النعماءُ فيـــه لنا ... وأصبحَ الحسن بالأحسانِ قد شُفعا
تبادرَ الناسُ فيه لثمَ خيرِ يدٍ ... ماءُ الحياة بها حيث الحيا نَبعا
وألمـــعَ الدهرُ بالبشرى فأسعده ... وميض بشركَ في الآفاق ملتمعا
وكلُّ عينٍ إلى العليـــاء ساميةٌ ... وكلُّ لحظ إلى مرآك قد رُفعا
والطرفُ ما ازداد رياً منه زاد صدى ... فكلّما ظل عنه صادراً شرعا
رادوا مراتـــعَ من نعماك مخصبةً ... وحبذا مرتعُ النعمى لِمَنْ رتعا
خليفةَ الله أوليْتَ الورى مِنَناً ... فما استقلَّ بها شكرٌ ولا اضطلعا
أنت الذي حاطتِ الدنيا إيالـَتُـهُ ... واستنزلتْ من ذراه الأعصم الصدعا [1]
أشبَّ جودُك آمالَ الورى ولقد ... أشابَ خوفُ ظباكَ الأزلم الجذعا [2]

---

* القصيدة منقولة عن مخطوطة مدريد .

(١) الاعصم : الايل في قوائمه بياض ؛ الصدع: الفتي الشاب القوي .

(٢) الأزلم الجذع : الدهر ، يقال : لا آتيك الأزلم الجذع .

فانبثَّ ما ابيضَّ منخيط الصباحبكم   وانبتَّ مسودّ خيطِ الليلِ وانقطعا
وطار منـــه غراب من مغاربه   أخْنى عليه غرابُ السيف إذ وقعا [1]
وقائِعٌ لك في الأعداء قد وَعظتْ   من كان بالقلب ـ لا بالسمع ـ مستمعا
نبّهْنَ من نومهِ من كان ذا سِنَةٍ   ونامَ من ظلّ بالأمثال مُنخَدِعا
ورُبّ ذِي سِنةٍ نبّهْته َفغدا   مستيقِظاً واـكم ذِي َشقوةٍ هجعا
وكان ذو الحلم قـد أوصى مُنَبِّهه   فكان للرُّشد َيهديه إذا فزعـــا
وكلُّ منْ ليس وعظُ العقلِ نافِعَه   لم تلقه عند سمع الوعظ منتفعا
ومن يُباريك أو ينوي منازعةً   يوماً فقد ظلّ منه الرُّشدُ منتزَعا
واعٍ أصاخَ لما قال الزمانُ له   وَعىمنالنصح ما قلبُ المطيعوعى
قد أعلن الدهرُ اذ نادى بحيٍّ على   إمامةِ ابن أبي حفص الرضا ، ودعا
يلوحُ للمجد نورٌ في إمـــارتهِ   للجدّ والأب في العلياء منتزعـــا
جلا مفـــارقهُ تاجُ العلا نسبٌ   سما الى عمرَ الفـــاروقِ وارتفعا
أَصلٌ غدا كلُّ أصلٍ دونهُ ، ولهُ   فرْعٌ علا كلَّ فرعٍ باسِقٍ فرَعَا
جاز الخليقةَ َيحيْى ابنُ الهمام أبي   محمد بن أبي حفص العلا جمعا
قدْ أوسع العِلمَ صدراً منه مُنْفَسِحاً   يضيقُ رحبُ العلا عنبعضما وسعا
لم َيعْدُ بالنفس جوداً في شجاعته   وفي مذاهبه لم يعـدُ أن شجعا
أعطى الذي حاتمٌ لو كان يُسألهُ   لظلّ من بعضه مستشعراً جزعا
من الوسيلةِ أن لا يبتغي أحـدٌ   وسيلةً لنـــداءِ كلما َسمعـــا
وكمْ غـــدا شافعاً نعمى بثانية   وكم إلى نفسه في مُعتفٍ شفعا

---

(١) غراب السيف : حده .

أعدى على الضَّبُعِ الشهباءِ عافِيَهُ ... جُوداً ، وأعدى على أعدائه الضّبعا [١]

فكمْ صدىً قد سَقَتْ رياً ذَوابلُهُ ... وكمْ صدىً نَقَعَتْ مِنْ صارخٍ نقعا [٢]

وكم أزارَ أسودَ الغاب زائرةً ... أرضَ العدا ذرعا ، دينَ الهدى ورعا

جيشٌ ترجّلُ فرعَ النقع ذُبّلُهُ ... وتستفيدُ به هامُ الربا فَرَعا [٣]

مِن كلِّ متّصل يوم الوغى يده ... بصارمٍ لا ترى في متنه طَبَعا [٤]

يثنيه ضَرْباً ولا يرضى بذلك لو ... يثني المضاربَ منه والظُّبا قطعا

ويترك الروح فرداً نظمُ صنعته ... فسَمِّهِ في معاني النّظم مبتدعا

أضْحَتْ له الحربُ إذ لذّتْ على ألمٍ ... تشعشعُ العسلَ الماذيَّ والسلعا [٥]

كأنّه هاصرٌ من رُمْحه فَنَناً ... ومن صدا درعِهِ مستنشقٌ فَنَعا [٦]

وكل مُقْصَدِ أحداقٍ وأفئدةٍ ... بأسهُمٍ لسنَ أنكاساً ولا هُزعا [٧]

تبدي نزاعاً وحدثاناً حنيّتُه ... إلى النفوس إذا عن قوسه نزعا

تودي بمستودَع الأضلاع إن عطفت ... حتى تخيلها في عطفها طلعا

لمْ يُجْمَعِ الفضلُ إلا في إمام هُدىً ... به تألفَ شملُ الخلقِ واجتمعا

أعْلى تواضُعُه لله رُتْبَته ... فظَلَّ عن مرتقاه النجْمُ مُتّضعا

فلو رأَتْ مُلكَهُ الأذواءُ من يَمَنٍ ... ما كان تُبَّعُهُمُ الا له تَبَعَا

---

(١) الضبع : السنة المجدبة ، وكذلك الشهباء ؛ العافي : الذي يقصده طلباً للعطاء . أعدى : أجرى ، الضبعا : الفرس الذي يضبع أي يضبح .

(٢) الصدى : الظمأ ، والصدى : الصوت المتردد . ونقع الصراخ : ارتفع .

(٣) الفرع (بسكون الراء) الشعر ، والفرع (بفتحها) : تمام الشعر وعدم الصلع .

(٤) الطبع : الصدأ .

(٥) السلع : السم .

(٦) الفنع : نفحة المسك .

(٧) الهزع : جمع أهزع ، وهو سهم رديء يبقى في الكنانة وحده .

فلا تقيسَنَّ أملاكاً به سَلفَتْ   مِنْ كلٍّ من خمّس الأفعال أو ربعا
وانظرْ عِياناً إلى العليا فليْسَ كمَنْ   رأى الحقيقة رأي العين مَنْ سَمِعا
فكلُّ مَنْ قد أقلَّ التـّاجَ قلَّ لهُ   ومَنْ تعَمّم فوق التـّاج أو وضعا
فابلغْ بجهدكما في الوسعِ من مِدحٍ   فقد وجدتَ مكان القول متسعَا
مآثرٌ لا يحـدّ الوصفُ أيْسَرَها   وإنمـا أنا منهـا ذاكرٌ لمعَا
فكمْ بها قـد شدا مِن ساجع ولكمْ   قِدْماً أشادَ بها من كاهنٍ سَجَعا
كم خـاطرٍ غره أدنى مداركها   فلم يَنلها ولا في نَيلِها طمِعَا
وكيفَ لا تُعجِز الأفكارَ غايتُهـا   وقدْ غدا عنْ مَداها الوهمُ منقطعا
أفادَ شخْصَك معنى النوع خالِقُهُ   يا مَنْ رأى واحداً فيه الورى جُمِعا!
حباك خَلقـاً وخُلقاً اذ يراك كما   تَهْوى مطيعاً على ما شئت منطبعا
إنَّ الأقاليم ترجو منك سَبْعَتَها   أمْناً به الشّاةُ لا تستنكرُ السّبُعَا
قد آن أن ينجز اللهُ العِدَاةَ لكم   في فتحِ ما قد دَنا مِنها وما شَسعا
فاجعلْ ظُباك مفاتيحَ الفتوح لها   وحُقَّ بالفتح بابٌ بالظُبا قُرعا
ولا تزل لبَنِي الآمال غيثَ ندىً   وبَدرَ تمٍ بأفقِ المُلك مطلعَا
ان أخلفت أزمنٌ طابت لها مُتَعٌ   أخلفتَ أحسنَ منها دائباً مُتعَا

٢٧

وقال يصف نور اللوز(*)

لا نور يعــدل نور اللوز في أنق ... وبهجة عنــد ذي عدل وإنصاف
نظـام زهر يظل الدرّ منتثراً ... عليــه من كل هامي القطر وكاف
بينا ترى وهي أصداف لدر حيـاً ... بيض ٍغدت درراً في خضر أصداف

٢٨

وقال ايضاً

موشّحٌ ضاحكته غُرَّةُ الفلق ... لما سَهرتُ له في آخر الغسقِ
نظمتُ فيه حُلى عَليَا أبي حسنٍ ... يَحيى العُلا ابن أبي مروان في نسق
فاعجبْ لسحرِ بيـانٍ قد تنظم في ... أوصاف طلق المحيـا فاضل الخلق
سمْحٍ سريٍّ سنيٍّ ماجدٍ يَقِظٍ ... شَهمٍ ذكيٍّ زكيٍّ بارعٍ لَبِقِ
٥ تُحْيِـي ِأزاهرَ روضِ الحسنِ راحتُه ... بكل غَيْثٍ سَفوحٍ وابلٍ غدِقِ
وآستنشق المسكمن أوصاف ذي كرم ... تَنهَلُ يُمْناه بالعِقْيانِ والوَرِقِ
نظمُ ابن حازمٍ المُهدي مدائحَه ... اليـــه كالمسك بل أذكى لمنتشق
محيّياً مجـــدهُ الأسمى وناديَه ... وفضله بالسلامِ الطيّب العَبَق

(*) الأبيات الثلاثة في النفح ٦ : ٢٣٩ .

٢٩

وقال ايضاً

أَحُبِيتَ وحدك بالجمالِ المطلقِ ... أم قيلَ إذ قُسِمَ الجمالُ لكَ انتقِ
فلقدْ جرَيْتَ مِنَ الجمال لغايةٍ ... أصبحتَ فيها سابقاً لمْ تُلْحقِ
ما عُذْرُ منْ لمْ يسلُ ممّا قد جنتْ ... عيناكَ ؟ بلْ ما عُذْرُ من لم يَعْشقِ؟
أَخذَ الهوى عهداً عليَّ فلمْ أُطِقْ ... نقضاً لما أخذَ الهوَى مِنْ موثقِ
وأبى سُلوّي عن محاسنِ أوجُهٍ ... بَهَرَتْ محاسنَ كلِّ بدرٍ مُشرقِ
وبمُهْجتي منها التي مُذْ مُلِّكَتْ ... رِقَّ القلوبِ لحاظُها لم تُعتقِ
مظلومةٌ باللحظ ظالمةٌ به ... تشكو وتُشْكي كل صبٍّ شيّقِ
عَقدَ الجمالُ وشاحَه منها على ... خصرٍ بألحاظِ العيونِ منطّقِ
وأدار عقداً حول عقد الصبر في ... جيدٍ بحبّات القلوب مطوّقِ
وأَجلْتُ في إثر الشبّاب وإثرها ... لمّا نأتْ ــ ونأى ــ لواحظَ مُشفقِ
وبكيتُ أيامَ الشباب كما بكى ... حسّانُ أياماً حسُنَّ بجلّقِ
ورأيتُ أسباب النعيم قد انقضتْ ... لما انقضى شرخُ الشباب المونقِ
وإذا الدواعي للتنعم أُحصيتْ ... فجميعُها في رأي كلِّ محققِ :
أَمْنٌ ، وعافيةٌ ، ووصل أحبّة ... وغِنىً وظلٌّ شبيبةٍ لم تَخْلَقِ
وكمالُ ذاك رضا الإمام وإنه ... لأجلُّ منها عند كلِّ موفّقِ
مَلِكٌ غدتْ أفعاله محمودةً ... ممدوحةً في مغربٍ أو مَشْرقِ
وخليفةٌ خلَفَ السحابَ بأنْملٍ ... قد أصبحتْ مبسوطة لم تغلقِ

مستنصرٌ بالله ، منصورٌ بــه … طَلْقُ الأسِرَّة في عبوس المأزق
قد خُصَّ إذ حاز المحامدَ كلَّها … باسمٍ لمعنى الوصفِ منه مُصدِّق
نجلُ الرضا الهادي المسمّى باسم من … بالحكم خُصَّ لدى الصبا والمنطق
سِبْطُ الهمام أبي محمدٍ الذي … أحيا المنى بسماحه المتدفـّق
أعلى أبو حفصٍ معالم مجْدِهِ … حتى ارتقتْ فوق السِّماك المرتقي
بندَى امير المؤمنين تبجّستْ … سُحُبُ المكارم والسماح المُغْدَق
كم فرّقتْ من شمل مالٍ في النّدى … منه مكارم كالسّحاب الغَيْدق
ولكم أثارت خيلهُ من عارضٍ … صخبِ الرواعِدِ للأعادي مُصْعِقِ
وغمامِ نقـــعٍ بالغماغم مُرْعدٍ … زجلٍ ، وبالبيض اللوامع مبرق
تنهلُّ مُزنـته . . . . . … . . . سابقاتِ لُحـَّق
سَبَتِ العدا حتّى غدوا أيدي سبا … وتمزقوا في الأرض كلَّ ممزق
قادَ الكماةَ الى العُداةِ لبوسُهُمْ … بيضٌ ترَجْرَجُ فوقهم كالزئبق
من كل أروعَ رائعٍ إقدامُهُ … ومزعزعٍ صَدْرَ الخميس الفيلق
يذكي التقدم للاعادي بأسه … كالسقْطِ طار من الزّناد المحرق
ما ينْثَنِي ويهاب عِند لقائه … للقِرن إلا أنْ يُهاب فيتّقي
أخليفةَ الله الذي مُذ حقّقتْ … أمواله آمالنا لم تُخفِق
جلّيْتَ عنّا ليلَ كلِّ ضلالةٍ … بهدايةٍ مثلِ الصباحِ المشرق
فلِنُورَي القمرينِ نورك ينتمي … وبعيصَي العمرين عيصك يلتقي
أجرى أمورَ الخلقِ عدْلُكُمُ على … شرْعِ الصلاح الشامل المستوْسق
أذكيتَ من طرف السنان لرعيهم … طرْفاً به سِنَةَ الكرى لم تعلق
ما زال في حفظ الرّعيّة ساهراً … ومؤرقاً لينيم كل مؤرق
فاذا تدنّت منه يوماً غفوةٌ … نادت به علياك : حدِّقْ حدِّقِ

يهنِ الخلافةَ أنهـــا قد شُرِّفتْ   بأغرَّ في شرف المنـــاسب معرق
زان الخلافة حين زانت جِيده   فغدت به كالتـــاج فوق المفرق
زادت به حسناً وزادت رِفْعـــة   وعُلاً ، وحلّت بالمحـل الأوفق
ومتى تُردْ تُعْطِ الامور حقوقهـا   فافهمْ مَراتِب فضْلِها وتحقَّقِ
وَزِنِ الامور وأعط كُلّاً حقه   وأخصصه بالأوْلى به والأليَق
بالعقد فوق تليله ، والتـــاج في   أعلى المفارقِ ، والبُرى في الأسؤق

٣٠

وقال ايضاً

رفَعَتْ سُعُودكمُ على الآفاق ... لِلأمن أسمى قُبَّةٍ ورُواق
ونهضْتَ نهضة قادرٍ مُستنصرٍ ... مُستنجدٍ بالواحدِ الخلاّق
وغدا لك النصر العزيز مفتِّحاً ... للفتح باباً غيرَ ذي إغلاق
وعفوتَ عن عوفٍ ، ولولا عفوكُمْ ... علق الرّدى بالحيِّ من علاق
أمَّنْتَ منهم كلَّ ذي رَوْعٍ كما ... أغنيتَ منهم كلَّ ذي إملاق
فأتتْ قبائلهُمْ وجاءَ حريمهمْ ... يتحرَّمون بأوكدِ الميثاق
ورأوا بحِلْمِكَ عنهمُ ورضاكمُ ... يوماً يسُرُّ نواظرَ الأحداق
مِنْ بعدِ يومٍ فيه قد قضت الظبا ... وطراً مِنَ المُرّاد والمُرّاق
أضحى جميعهمُ لسيفك طعمةً ... من عارضٍ قد همَّ بالإصعاق
وغدا جميعهم بِسَيْبِكَ يرتوي ... من صيِّبٍ قد ظلّ ذا إغداق
بينا تخاف حضور آجالٍ لها ... أضحتْ تُرَجِّي حاضرَ الأرزاق
رُزقوا حنانَكَ وامتنانك والرضى ... من بعد ما خافوا من الإخفاق
عادت حياتهمُ اليهم بعد ما ... قد آذنتْ أجسامُهمْ بفراق
وشدوا بنعماك التي قد طوّقوا ... شدْوَ الحمائم في حُلى الأطواق
فتهنَّ مولانا البشائر واقتبلْ ... فتحاً ونصراً ساطعَ الإشراق
وكما نُصِرتَ على العدا فيما مضى ... فكذاك تُنْصَر في الزمان الباقي

٣١

وقال أيضاً

سبحان من سبّحته الشهبُ والفلكُ	والشمسُ والبدرُ والإصباح والحلكُ
واللّوحُ والقلمُ العلويُّ سبّحهُ	واللوحُ والعرشُ والكرسيُّ والملك [1]
والأنسُ والجنُّ ما زالت تسبّحه	والوحشُ في بيدها والطيرُ والسمك
سبحانَ مَنْ لم تغبْ عنه الغيوبُ ومن	له على الغيب سرٌّ ليس ينهتك
لم يشترك معه في علمه أحدٌ	وُجودُه فيه كلُّ الخلق مشترك
سبحان من عجزتْ عنه العقولُ فلم	تُدْرِكهُ والعجزُ عن إدراكه درك
سبحان مَنْ لترَجّي عفوِه سكنتْ	نفوسنا ولها من خوفه حَرَك
ربٌّ تقدّس في سلطانِه وعلا	وجلّ عن كلِّ ما قدْ قال مؤتَفِك
توحيده العُرْوَةُ الوثقى لمُسِكِها	فتبٌّ من بِعُرَاها ليس يمتسك
أدنى وأبعد فالأتقى له دَرَجٌ	إلى السعادة والأشقى له دَرَك
يا ربنا اغفر لنا اللهمّ واقضِ لنا	بالخيرِ عندك يا رحمانُ يا ملك
وعافِنا واعفُ عمّا كان من لَممٍ	ومن كبائرَ فيها نحن نرتبك
نُنهَى فلا نَنتهي عن غيّ أنفسنا	بل ننتهي الغايةَ القصوى وننتهك
عجبتُ ممّنْ بدت للشيب ضاحكةٌ	في فَودِه كيف يُلهي نفسَه الضحك
ألعُمْرُ مرحلةٌ والمرءُ في سَفرٍ	في كل حين الى الأخرى له رتَك [2]
تقطيعُ أنفاسه قطعٌ لأزمنةٍ	بمرّها يمرُّ الجثمان تنبتك

(١) اللوح : الهواء بين السماء والأرض .

(٢) رتك : مشي فيه اهتزاز .

دنياك تفنى وما الأخرى بفانيةٍ فانظر لنفسك ما تُعطي وتمتلك
وٱلحق بطائفةٍ بالحــقّ طائفةٍ واسلكْ سبيلَهُمُ في كلّ ما سلكوا
سَخَوْا بدنياهمُ شحّاً بدينهمُ فكان ما اتخذوا فوق الذي تركوا
بذل الغنى عندهم في الله خيرُ غنىً وخيرُ مِلكٍ لديهمْ بذلُ ما ملكوا
قد استوى عندهمْ أن ليس قصدُهمُ غيرَ البلاغ فضولُ العيشِ والمِسَك
حِجرٌ بنهي النُّهى والحِجر عندهم ان تؤمر الحجر أو ان تُؤبَر السكك [1]
من كلّ ماحٍ خطاياه بأدمعه فحُمْرُها في اصفرار الخدّ تنسفك
كأنما الدمعُ من عينيه منسكباً عَيْنٌ بنارِ زفيرِ القلبِ يَنسبك
يضيءُ في هالةِ المحراب بدرَ هدىً وتنجلي عنه إشراقَ الدجى الحَلَك
فاسْلكْ سبيل أولي التقوى وخذ معهم في كل ما أخذوا وٱنْسكْ كما نسكوا
وٱجعَل يقينك دون الحقّ واقيةً إن اليقين يقي ما لا تقي الشّكك
وٱرغب إلى الله وأسألْ منه مَغفرةً لعَلّه لكَ بالغُفْرَان مُدرِك

(١) حجر : حرام ممنوع ؛ الحجر : العقـل ؛ والحجر : الفرس الانثى ؛ تؤمر : يكثر ولدها ؛ تؤبر : تصلح ؛ السكة : الطريقة المصطفة من النخل وقيل هي سكة الحرث ؛ وفي الخبر : خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ؛ والمعنى أنهم قوم زهاد في شئون الدنيا لا يرون اقتناء الخيول أو اصلاح الأرض والاستكثار من الزرع .

٣٢

وله رحمه الله تعالى

لم تَدْرِ إذْ سألَتكَ ما أسلاكهَا   أبكتْ أسىً ام قطعتْ أسلاكها
فغـدت سَوالِفها تحلّى لؤلؤاً   من أدْمُعٍ لم تستطعْ إمساكها
فأرتك سفح الطلّ في مَوْليّة   عُنيَ الحيا ببرودها اذ حاكها
ريّا الأديم من النعيم إذا بَدَتْ   فوق الحرير تَخالهُ قد شاكها
وتطيلُ بَرْحَ صداي حين تجيل ما   بين البوارق والحيا مِسْواكها
كم بات يُذْكِرُكِ العهودَ خيالُها   وتظنُّ أن الدهرَ قد أنساكها
تأبى الليالي ان تريك أوَانساً   كم قد أزاركها الكرى وَأراكهَا
أفلَتْنَ أشراكي غداةَ رميتها   وعلقتُ حين رَمينني أشراكها
تأميلُها أسر النفوس وإنّ في   تأميل مولانا الأمير فِكاكهَا
ملك الهدى يحيى الذي فاق الحيا   بمواهبٍ والت يدايَ دِراكها
صاد القلوبَ وقادها حبّا وقد   جَعلَ الهباتِ قيودَها وشباكها
من للثّريا أن تكون نعاَله   مَنْ للهلالِ بأن يكونَ شراكها
عَزَماته كنجومِ قَذْفٍ ترتمي   وقد أغتدت آراؤهُ أفلاكها
فبجُودِهِ ترجو العُفاةُ حياتَها   وببأسه تخشى العُداةُ هلاكها
بزّ الكواكب في الثرى عزمٌ له   أبداً يُباري نَسْرَها وسِماكها
ومثيرة ظُلمَ العَجاجِ منيرة   من فوقها شُهبُ الظبا افلاكها
من كلّ معتادٍ لغارات الضحى   لاكتْ نواجذه الشكيمَ وساكها
وكلت الى رأدِ الضحى إقرابها   ولرمي أحداق العدا إعراكها(؟)

إنّ الخلائق قـد أراد صلاحها   ربٌّ أراهـا منكمُ أملاكها
علماءَها حكماءَها صلحاءَها   سمحاءَها نجحاءَها نسّاكها
أدركتمُ في العلم كلّ حقيقة   شأتِ العقول وأعجزتْ إدراكها
اعطى الخلافةَ كفؤَها الأوْلى بها   ربٌّ بحقك في الورى أعطاكها
عليا ابيك ابي محمدٍ الرضا   وعلا أبي حفصٍ أبيه حباكها
فلقد جمَعْتَ أمورَ طائفة الهدى   عن مثل بعديها فكنتِ ملاكها
كم موطنٍ أضحى حسامك حاقناً   فيه الدماء بأنْ غدا سفّاكها
راعت نفوسَ الشركِ منك عزائمٌ   تركتْ أخا عزٍّ حذاراً شاكها (١)
قد أوطنت نارَ الجحيم نفوسَهُمْ   من قبل أنْ يتبوأوا أدراكها
حتى لقد كادت قلوبُ الرومِ ان   تنسى بذكرك خيفةً إشراكها
وبأرضِ أندلسٍ عزمتْ روعةً   فرشت جنوبُهُمُ بها أحساكها
ولقد أراد الله روع عداتها   وأمان روعتها إذ استرعاكها
عُصِمَت بأوثقِ عروةٍ من أمركم   وصلت أكفهم بها استمساكها
بك أُحْيِيَتْ آمالهم ونفوسهم   إذ حاولت أيدي العدا إنهاكها
فجميعهم من وافدٍ أو قاعدٍ   أهداك مهجته بل استهداكها
سكنت بظلك في الأمان نفوسُهُمْ   حيث الأماني قد أطلن دراكها
كم وافدٍ مستبدلٍ بمهاده   كورَ المطيّ إليكمُ ووراكها
يَعْلُو بشكركم الرّحالَ كما علت   وُرْقُ الحمام الساجعات أراكها
انجبّ قَصْدُ ذراك ذروة عرْمسٍ   فنداكَ يضمنُ عاجلاً إتماكها
قد أوشكتْ تعنو المغارب كلها   وكذا المشارق أوشكت ايشاكها
كم مسكةٍ أرجتْ بذكرك مسكة   صيرت فكري فِهْرها ومداكها
وإذا عقيلةُ مَدْحةٍ زُفّت الى   عليائكم ولي النّوى إملاكها
لا زال صنعُ اللهِ في مستقبلٍ   يُنْميكَ كلّ صنيعة أولاكها
ما قلتَ للأيام هاتِ تقاضياً   عِدةَ المنى إلا وقالت هاكها

(١) شاكها : وقع في شوكها .

٣٣

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرىء القيس، وصرف معناها الى مدح المصطفى ﷺ وهي من غر القصائد(*)

لعينيكَ قُلْ ان زرتَ أفضلَ مُرْسَلِ
« قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ »
وفي طَيْبةٍ فانزل ولا تغشَ منزلاً
« بِسِقْطِ اللّوى بين الدَّخول فحومل »
وزرْ روضةً قد طالما طاب نَشْرُها
« لما نَسَجتها منْ جنوبٍ وَشمأل »
وأثوابَك اخلعْ مُحْرِماً ومصدقاً
« لدى السِّترِ الا لبسةَ المتفضل »

(*) هذه هي حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار وقد أوردها المقري في أزهار الرياض ٣ : ١٧٨ - ١٨٢ والنفح ٨ : ٣٤ - ٣٨ . ونسب له المقري في أزهار الرياض (٣ : ١٨٢) قصيدة ضمن فيها قصيدة أخرى لامرىء القيس. وبعد ان اورد القصيدة قال : هكذا وجدت بخط بعض أعلام مراكش نسبة هذه القصيدة لأبي الحسن حازم المذكور واعتمدت على هذه النسبة ثم بان لي خطؤها وانما هذه القصيدة من نظم الفقيه العلامة أبي بكر بن جزي الكلبي؛ ا هـ . قلت : وهذه القصيدة الثانية قد اوردها لسان الدين في الاحاطة والكتيبة الكامنة لابن جزي ، فهي ثابتة النسبة له ، ولذلك لم نوردها في هذا المجموع من شعر حازم .

لدى كَعبةٍ قد فاض دمعي لِبُعْدِهـا
« على النحرِ حتى بلَّ دمعيَ محمـلي »
فيـا حاديَ الآمال سِرْ بي ولا تقلْ
« عقرتَ بعيري يا آمْرأ القيسِ فانزل »
فقـد حلفتْ نفسي بذاك وأقسمت
« عـــليَّ وآلتْ حلفةً لم تَحَلّـل »
فقُلتُ لهــا لا شكّ أني طائعٌ
« وانكِ مهما تأمري القلبَ يفعـل »
وكم حَمَلتْ في أَظْهُرِ العزمِ رَحلها
« فيا عجباً مـــن كورها المتحمل »
وعاتبتِ العجزَ الذي عـاقَ عَزْمَها
« فقالتْ لك الويلاتُ إنكَ مُرْجلي »
نبيٌّ هدىً قـــد قال للكفرِ نورهُ
« الا أيهـا الليلُ الطويلُ الا آنجلِ »
تلا سُوَراً مــا قولهـا بمعـارَضٍ
« اذا هيَ نصّتْهُ ولا بِمُعَطّل »
لقـد نزلتْ في الأرض مِلةُ هَدْيِه
« نزولَ اليماني ذي العِيابِ المحمّل »
أتت مغرباً من مشرقٍ وتعرّضتْ
« تعرُّضَ أثنـــاءِ الوشاحِ المفصّل »
ففازتْ بلادُ الشرقِ من زينـةٍ بها
« بشقٍّ وشقٌ عنـــدنا لم يُحوّل »

فصلى عليـــه الله مـــا لاحَ بارقٌ
« كلمعِ اليـــدينِ في حبيٍّ مكلل »
نبيٌ غزا الأعداءَ بـين تلائـــعٍ
« وبـــين أكام بعدما متأمل »[1]
فـكم ملـــكٍ وافاهُ في زي منجدٍ
« بمنجردٍ قَيْـدِ الأوابدِ هيكل »
وكم من يمانٍ واضحٍ جاءَه اكتسى
« بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعزل »
ومن أبطحيٍّ نيطَ عنه نجـــادُهُ
« بجيـدِ مُعِمٍّ في العشيرة مُخْوِلِ »
أزالوا ببـــدرٍ عن سروجهمُ العدا
« كما زلَّتِ الصفواءُ بالمُتَنَزَّل »
ونادوا ظُباهم لا يَفتْـــكِ فتىً ولا
« كبير أناسٍ في بجادٍ مُزَمّل »
وفضّ جموعاً قـــد غدا جامعاً لهم
« بنا بطنَ حِقْفٍ في قِفافٍ عَقَنْقَل »
وأحمَوا وطيساً في حُنَيْنٍ كأنـــه
« إذا جاش فيه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَل »
ونادَوا بنات النبع بالنصرِ أثمري
« ولا تُبْعدينا من جَنَاكِ المعلل »

(١) في رواية : سرى بجنود الله بين تهائم.

ومَنْ له سَدَّدْتِ سهمين فاضربي

« بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتل »

فما أغنت الأبدانَ درعٌ بها اكتست

« ترائبُهــــا مصقولةٌ كالسَّجنجل »

وأضحت لواليها ومالكها المـــدا

« يقولون لا تَهلِكْ أسىً وتجمـــل »

وقـــد فرّ منصاعٌ كما فرّ خاضبٌ

« لدى سَمُرات الحيّ ناقفُ حنظل »

٣٠ وكم قال يا ليلَ الوغى طُلْتَ فانبَلِجْ

« بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل »

فليت جوادي لم يسرْ بي إلى الوغى

« وبات بعيني قائما غيرَ مرسل »

وكم مُرْتَقٍ أوطاسَ منهم بِمُسْرَجٍ

« متى ما تَرَقّ العينُ فيـــه تسهّل »

وقرّطَهُ خُرْصاً كمصباحِ مُسْرِجٍ

« أهانَ السليطَ في الذُّبال المفتّل »

فيرنو لهـــادٍ فوق هاديه طَرْفُهُ

« بناظرةٍ من وَحْشٍ وجرة مُطْفِل »

٣٥ ويسمعُ من كافورتـــين بجانِبَيْ

« أثيثٍ كقِنوِ النخلة المتعثكل »

ترَفّع أن يُعزى له شَدُّ شادنٍ

« وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تَتفُل »

ولكنه يمضي كما مرَّ مُزْبِدٌ
« يكبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكنَهْبل »
ويغشى العدا كالسهمِ او كالشهابِ او
« كجلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من عل »
جيــادٌ أعــادت رسمَ رستم دارساً
« وهل عند رسمٍ دارسٍ منْ مُعَوّل »
٤٠ وريعتْ بها خيلُ القياصرِ فاختفت [١]
« جواحِرُهــا في صَرَّةٍ لم تَزَيَّل »
سبت عُرُباً من نسوةِ العُرْب تَسْتَبي
« اذا ما اسبكرَّتْ بين درع ومِجْوَل »
وكم من سبايا الفرسِ والصُّفْرِ أسهَرَتْ
« نؤومَ الضحى لم تنتطقْ عن تفضل »
وحزن بدوراً من ليــالي شعورها
« تضلُّ المداري في مُثَنَّى ومرسل »
وأبقتْ بأرض الشامِ هامــاً كأنهــا
« بأرجائها القصوى أنابيشُ عُنْصُل »
٤٥ وما جفَّ من حبِّ القلوبِ بغورهــا
« وقيعانِهــا كأنه حبُّ فلفــل »
لخضراءَ مــا دَبَّتْ ولا نبتتْ بهــا
« أساريعُ ظبيٍ أو مساويكُ إسحِل »

---

(١) في نسخة : فاعتدت .

شدا طيرُهـا في مثمرٍ ذي أرومـةٍ
« وساقٍ كأنبوبِ السقيّ المذلل »
فشُدَّتْ بروضٍ ليسَ يَذْبُلُ بعدها
« بكلّ مُغارِ الفتلِ شُدَّ بيذبل »
وكم هجّرت في القيظِ تحكي دوارعاً
« عذارى دوارٍ في المُلاءِ المُذَيّل »
وكم أدلجت والقطرُ يهفـو هزيزُهُ
« ويلوي بأثواب العنيفِ المثقّل »
وخضنَ سيولاً فِضْنَ بالبيد بعدمـا
« أثرنَ غبـاراً بالكديدِ المركّل »
وكم ركزوا رمحاً بدعصٍ كأنه
« من السَّيْلِ والغُثاء فَلْكَةُ مِغْزَل »
فلم تبنِ حصناً خوفَ حصنهم العدا
« ولا أُطمها الا مَشِيداً بجندل »
فهُدَّتْ بعضبٍ شُدَّ[1] بعـد صقاله
« بأمراسِ كتّانٍ الى صُمّ جَنْدل »
وجيشٍ بأقصى الأرض ألقى جِرانَهُ
« وأردف أعجازاً وناءَ بكلكل »
يـدكُّ الصفا دكّاً ولو مرَّ بعضُهُ
« وأيسرُهُ على السّتار فيذبل »
دعا النصرُ والتأييدُ راياتِهِ أسحبي
« على أثرينا ذيـلَ مِرطٍ مرحل »

(١) النفح : شيب.

لواءٌ منيرُ النصل طــاوٍ كأنه
« منــارة ُممْسى راهبٍ متبتل »
كأَن دما الأعــداءِ في عَذَباته
« عصارةُ حِنـّاءٍ بشيبٍ مُرجل »
صحابٌ بَرَوا هامَ العداةِ وكم قـَرَوا
« صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجل »
وكم أكثروا ما طاب من لحم جَفـْرةٍ
« وشحمٍ كهُدّاب الدِّمَقسِ المُفَتـّل »
وكم جُبْنَ من غبراءَ لم يُسْقَ نَـبْتـُها
« دراكًا ولم يُنـْضَحْ بمـاءٍ فيغسل »
حكى طيبُ ذكراهمَ ومُرٌّ كفاحهم
« مَداكَ عروسٍ أو صلايةَ حنظل »
لأمداحِ خيرِ الخلق قلبيَ قـــد صبا
« وليس صِباي َعن هواها بمنسل »
فــدعْ من لأيام صلحن له صبا
« ولا سّيما يومٍ بدارةِ جُلْـجُل »
وأصبــح عن أم الحويرثِ ما سلا
« وجارتِهـــا أمّ الرباب بمأْسل »
وكنْ في مديــحِ المصطفى كمدبّجٍ
« يقلـّب كفـّيْهِ بخيـــطٍ مُوَصّل »
وأمِّل بــه الأخرى ودنياك دعْ فقد
« تمتعتَ من لهوٍ بها غيرَ معجل »

وكم لنبيثٍ[1] للفؤادِ منابثٍ
« نصيح على تَعْذاله غير مؤتل »
ينادي إلهي إن ذنبيَ قـد عدا
« عـلـيَّ بأنواع الهمومِ ليبتلي »
فكنْ لي مجـيراً من شياطينِ شهوةٍ
« عليَّ حراصٍ لو يسِرُّونَ مقتلي »
ويُنْشِدُ دنيـاهُ إذا ما تَدَلّلتْ
« أفاطمَ مهلاً بعضَ هـذا التدلل »
فان تصلي حبلي بخـيرٍ[2] وصلتُهُ
« وان كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأجملي »
وأَحسِنْ بقطعِ الحبلِ منكِ وبَتّهِ
« فسلّي ثيابي منْ ثيابكِ تَنْسَل »
أيا سامعي مَدْحَ الرسولِ تَنَشّقُوا
« نسيمَ الصّبا جاءتْ بريّا القرَنْفُل »
وروضةَ حمـدٍ للنبيّ محمـدٍ
« غذاها نميرُ الماءِ غـيرُ المحلَّل »
ويا من أبى الاصغاءَ مـا أنت مهتدٍ
« وما إن أرى عنكَ العَماية تنجلي »
فلو مُطْفِلاً أنشدتهـا لفظَها ارعوتْ
« فألهيتها عن ذي تمـائمَ مُحْول »
ولو سمعتْهُ عُصْمُ طـودٍ أمامهـا
« فأنزلَ منها العُصْمَ من كلّ منزل »

(١) النفح : وكن كنبيث . (٢) النفح : بخير .

٣٤

ومن نظمه في الزهد عفا الله عنه

لم يدرِ مَن ظنّ الحياةَ إقامة ... أنّ الحيـــاةَ تنقـّلٌ وترحـّلُ
في كلِّ يومٍ يقطعُ الإنسانُ منْ ... دنيـــاهُ مرحلةً ويدنو المَنْهَلُ
فإذا يفارقُ دار منشأه امرؤٌ ... فله إلى دارِ المَعَـــادِ تنقل
ووجودهُ الثاني يبلـّغـه الى ... ما لا يبلـّغهُ الوجودُ الأول
يحظى السعيدُ به بطولِ سعادةٍ ... وأخو الشقاوةِ للشقاوةِ يُنْقَـل
لا تأسفنَّ لفرقةِ الدنيا فمـــا ... تلقاه في أخراكَ عنها يَشْغَـل
لا تبكِ إشفاقاً لما استدبرتَـــهُ ... ولتبكِ إشفاقـــاً لمـا تَسْتَقْبِـل
يا ربِّ حَقـّقْ في رضاكَ رجاءَنا ... فرضاكَ أفضلُ ما رجاهُ الأفضلُ

٣٥

وقال *

بنتُ فكرٍ لا نظيرَ لها ... صاغَـها مَنْ لا نظيرَ له
وأمدَّ اللهُ خـــاطره ... بهـــداهُ حين أعمـــله
فحبـــاها الله إذ كملت ... ما حباهُ حينَ كمَّـــله
وعلى الأقوالِ فضّلهـــا ... مَنْ على الأقـــوامِ فضله

(*) الابيات الأربعةفي اختصار القدح المعلى: ٢١ وقال انها كتبت مع الابيات التيمطلعها :

ملأت من أبدع الحكم ... دلو آمالي الى الوذم

وستأتي في حرف الميم .ص : ١١٢

٣٦

وقال ايضاً رحمه الله تعالى

سبحانَ من سبَّحته ألسنُ الأممِ ... تسبيحَ حمـــدٍ بما أَولى مِنَ النعمِ
سبحان من سبَّحته ألسنٌ عرفت ... بأنَّ تسبيحه من أفضلِ العِصَمِ
سبحان من سبَّحته ألسنٌ نطقتْ ... من عالمٍ في حجابِ الغيب مكتتم
سبحان من سبحته ألسنٌ نطقتْ ... من عالمٍ في وجود الحين مرتسم
سبحان من سبَّحت حمداً ملائكةٌ ... له بلا فـــترةٍ تعرُو ولا سأم
سبحان من سبَّحت سَبعٌ له سبحتْ ... من السموات ذاتِ الأنجم العُتُم
سبحانَ من سبحته الأرضُ خاضعةً ... وما على الأرض من قورٍ ومن أكم
سبحان من سبحت هذي وتلك له ... مسخراتٍ بما قد شاء من خِـــدمِ
سبحان من سبَّحت شمسُ النهار له ... والبدرُ بدرُ الدجى والشهبُ في الظلم
سبحان من سبَّح الليلُ البهيمُ له ... وسبح الصُبحُ يُبدي ثغْرَ مبتسم
سبحان من سبّح الرعدُ المرنُّ له ... والريحُ والبرقُ في سُحْبِ الحياالسَجم
سبحان من سبّح الجسمُ الجمادُ له ... بمنطقٍ من لسان الحالِ منفهم
سبحان من سبّح الحيُّ الفصيحُ له ... بمنطقٍ من صريحِ اللفظ مُلتَئِمِ
سبحان من سبّحته الأنسُ عارفةً ... والجنُّ عازفةً تحت الدجى السّحم
سبحان من سبحته الوحشُ باغمةً ... والطيرُ ناغمـــةً مفتنـَّةَ النغم
سبحان من سبحته أبحرٌ زخرتْ ... وسابحاتٌ جرَتْ في لُجَّةِ العدم
سبحان من سبحته أجبلٌ شمختْ ... يسبح الله فيهـــا عاقلُ العُصُم

سبحان من سبحته ألسنٌ نطقتْ … فيهن من طائع أو طائرٍ رنم
سبحان جاعلهـا مـــأوى لمنفردٍ … بالله مستأنس بالحـــق معتصم
سبحان من فجّر الأنهارَ أسفلهـا … وانشأ السحب منها في ذُرى القمم
سبحان من أرسل الأرواح ملقحةً … حواملَ المُزن بالهامي من الديم
سبحان من أنبتَ الأكلاءَ فاحتفلت … بها ضروعٌ تمسُّ الأرض بالحَلَم
سبحان عالمِ ما في العالمين معـــاً … من كلّ ما دقّ أو ما ظلّ ذا ضخم
سبحان من ليس يُحْصى صنعُ قدرته … في نظم منتشرٍ أو نثرِ منتظم
سبحان مَن كل حينٍ في الوجود له … إعدامُ موجودٍ او إيجادُ منعدم
سبحان من خلق الانسانَ من عَلقٍ … وردّه بعـــد أمشاجٍ الى رمم
سبحان من شاء سكنى الروح في جسدٍ … بَاقٍ الى أمدٍ لا بـــد مُخْتَرَم
سبحان مَنْ كلُّ شيءٍ عنده لمدىً … مثل الشبابِ الذي يُفضي الى هرم
سبحان من جعل الدنيا وصورتَها … مثلَ الخيالِ سرى والعيشَ كالحلم
سبحان من شاء أن يبلي الجديدَ بها … كرُّ الجديدين من صُبْحٍ ومن ظلم
سبحان من جعل الأعمـارَ بينهما … مقطوعةً مثلَ قطْعِ الثوب بالجَلَم
سبحان من جعـل الايامَ لاعبةً … بأهلهـا لعبَ الانسانِ بالزلم (١)
سبحان من جعل الدنيا محببةً … ملتذةً مع مـــا فيها من الألم
سبحان من حبّب الاخرى لطائفةٍ … سمتْ إلى أشرفِ الدارين بالهمم
سبحان جاعلِ كونِ الشيء عندهمُ … كغيرِ شيءٍ اذا ما الشيءُ لم يَدم
سبحان من ينشرُ الموتى ويبعثهمْ … للفصلِ ما بـــين ظلاّمٍ ومظّلم
سبحان من بَيْنَهمْ بالعدلِ يحكمُ في … يومٍ به ليس غيرُ الله من حَكَم
سبحان من جلّ في سلطانه وعلا … عن أن يُرى معـــه حُكمٌ لمحتكم
سبحان من شاءَ تدبير الأمورِ على … مـــا خطّ تقريرَه في اللوح بالقلم

---

(١) الزلم : القداح .

سبحان من أشهدَ الأرواحَ حين برا ... ما قد براهُ من الأرواحِ والنَّسم
سبحان من ألهم العبدَ السعيدَ لما ... أضحى الشقيُّ اليه غــيرَ ملتهم
سبحان من قد هدى الأتقى لطاعته ... فسار من نهجها الهـادي على َلقَم
سبحان من ضلـَّل الأشقى بمعصيةٍ ... فظلَّ عن ُطرُقِ التوفيق وهو َعمِ
سبحان من إنْ َيشأ يجزِ المسيِءَ وإن ... َيشأ عفا عن كبيرِ الاثم واللـَّمم
سبحان َمنْ َبابُ نعماهُ ورحمته ... مفتحٌ للبرايا غــير منبهــم
سبحان من منه نرجو عفو مقتدرٍ ... ونستعيــذُ به من بطش منتقم
سبحان مــن بمزاياه له ُلطـُفٌ ... لا ييأسون به من فرجــة الغَمم
سبحان من عنده في كلِّ فادحةٍ ... رفقٌ يصيِّر حربَ الدهر كالسَّلم
سبحان من جلَّ َعن ندٍ وَُنزِّه ان ... ُيعزى لأينٍ ولا كيفٍ ولا ِلكَم
سبحان من كان والاكوانُ ليس لها ... كونٌ ومن سبقَ الأزمانَ بالقدم
سبحان من ُيعْدِمُ الموجودَ حين يشا ... سبحان من أوجدَ الأشياء من عدم
سبحان من لم ُيحْط خلقٌ به ، وله ... إحــاطةٌ بجميع الخلقِ كلهم
سبحان من قد بدا برهانـُ وحدته ... بحجةٍ ودليــلٍ غــير منخرم
سبحان من بدليل الوحي زاد هدىً ... من آهتدى بدليلِ العقل والفهم
سبحان من شاء إمدادَ العقول بما ... أوحى الى ُرسْله في الأعصر القدم
سبحان من تمّم الحسنى بخاتمهم ... محمــدٍ خيرِ مبعوثٍ ومختتم
سبحان من جعل القرآن معجزةً ... له منزّلةً بالحُــكم والحِــكَم
سبحانمن أخرس اللـُّسْـنَ الفصاحَ به ... فأضحتِ الفصحاءُ اللسنُ كالبكم
سبحان من بانشقاق البدر أيّده ... بآيةٍ فاقتِ الآيات في العظم
سبحان َمنْ ليلةَ الاسراءِ رفـّعه ... الى مــقامٍ سواه فيه لم َيقـُم
سبحان من خصّهُ لما آنتهى ُصعُداً ... لسدرةِ المنتهى بالعزِّ والكرم

سبحان من قد زوى الدنيا له فرأى ... شرقاً وغرباً ولم يبرح ولم يرم
سبحان من بأمور الغيب أعلمه ... فظلَّ يخبرُ عن آتٍ ومنصرم
سبحان من بلواء الحمدِ أكرمه ... وخصّه بمعالي ذلك العلم
سبحان من شاء أن يضحي السحابُ له ... ظلاً ويسْقَى اذا آستسقى حيا الديم
سبحان من بيسيرِ المسِ من يده ... قاتَ الكثيرَ من الابطال والبُهَم
سبحانَ من ببنانٍ منه ردَّ الى ... قتادةٍ عينه اذ ظلَّ وهو عمي
سبحانَ جاعلِ أوفى القسمتين لها ... من فيضِ نورٍ على العينين منقسم
سبحان من بجنودِ النصر أيده ... في كل يوم بنورِ الفتح متسم
سبحان من قد رمى الاعداءَ حين رمى ... تُرباً فلم يَلْقَ وجهاً غير منهزم
سبحان من بادرتْ نصراً ملائكةٌ ... له ببدرٍ ومالت بالظّبا الخُذم
سبحان من لِحُنَينٍ قد أحانَ به ... حَيْنَ العُداةِ وأودى صِمّةَ الصّمم
سبحان من عَنْ عيونِ الشرك حجّبَه ... فظلَّ يحثو الثرى منهم على اللمم
سبحان من عنه قد كفَّ العُداة ومن ... ثنى سُراقةَ عنه ناكصَ القدم
سبحان من في الثرى ساختْ بقدرته ... قوائمُ الحجرِ بالبرهان منه حمي
سبحان من قد أراه آيةً بهرتْ ... صدّتْ وردّته تحذيراً من النقم
سبحان من بذراعيه قد آلبسه ... من خلعِ كسرى سواريه على رغم
سبحان من قد أرى الشجراءَ ماشيةً ... تُهدي السلام اليه مَشْيَ ذي قدم
سبحان من قد رأى جذعاً لفرقته ... يبدي حنين حليفِ الشوقِ ملتزم
سبحان جاعلِ نطقِ الذيبِ معجزةً ... له وشاهد صدق غير متهم
سبحان من قد حباه كلَّ معجزة ... شهيرة أسمعت مَنْ كان ذا صَمم
سبحان مظهر آياتٍ له كثرتْ ... فلم يُطِقْ عدّها مُحْصٍ ولم يرم
سبحان من خصّه بالحوضِ تكرمةً ... وبالشفاعةِ في عاصٍ ومجترم
سبحان من بهداه عمّ صحبته ... وخصّهم بكريم الخُلْقِ والشيم

سبحان من شاء تفضيلاً لأمّتــــه ... يرويهم في غدٍ من حوضه الشَّبِم
سبحان من بضياءٍ من وضوئهم ... في الخلقِ صيرهم كالغرِّ في البهم
سبحان من قد هداهم للصلاةِ به ... هدْياً فساروا اليه سَيْر مُعْتَزِم
سبحان من صيَّر البيتَ الحرام لهم ... ميمماً في أجلِّ الاشهرِ الحُرم
سبحان من بهمُ أسرى لكعبته ... وبيته الطاهر المحفوفِ بالحرم
سبحان مَنْ حين طافوا قد أطاف بهم ... أجراً يُقسم فيهم أعــــدل القسم
سبحان من لم يَدَعْ عند الحطيم لهم ... والركن والحجر ذنباً غير منحطم
سبحان من قد اراهم زمزماً أمماً ... وشاء إرواءَهُمْ منهـــا بذي شبم
سبحان من قد شفى منهم بها غُللاً ... ومن شفى عللاً من كلِّ ذي سقم
سبحان من إنْ أفاضوا قد أفاضَ لهم ... سَجْلاً من العفوِ مملوءاً الى الوذَم
سبحان من قد تلقتهمْ عوارفُه ... من مُلتقَى عرفاتٍ وسطَ مزدحَم
سبحان من شاءَ في رمي الجمارِ لهم ... اطفاءَ ما بجمارِ الذنبِ من ضَرَم
سبحان من بمنىً أدنى المُنَى لهمُ ... فكلهمْ نال منهـــا حظَّ مقتسم
سبحان من بالصّفا قد سرَّ جمعهم ... كمثلِ ما اذ صفَوا سرّ الصفا بهم
سبحان من قد قضى في حال نَفْرِهمُ ... بنفي آثامهم عنهمُ فـــلم تُقِم
سبحان من بعد حجّ البيت أكرمهم ... بزَورَةِ المصطفى بالأينق الرُّسُم
سبحان من بثرى المختـــار آثرهم ... ففـــاز باللثم فيه كل مُستْلِم
سبحان من نَوّرَ الليل البهيم لهمْ ... فأبصروا غرراً في أوجهِ الدهم
سبحان من قد جلا وجه السرور لهم ... فـــلم يدعْ دونه للغمّ من غمم
سبحان من قد أرى ليلاً عيونَهمُ ... نوراً على طَيْبَةٍ يلتـــاحُ من أمم
سبحان من بشَذَاها قد أطاب لهمْ ... رُوَيْحةَ الفجرِ بين الضّال والسَّلَم
سبحان من قد أراهم بـــين منبره ... وقـــبره روضةً مسكيةَ النسم

سبحان من قد سقاهم ريّ أنفسهم   من لثمها ووقاهم حسرة الندم
صلّى الاله عليه ما سرى قمرٌ   وما شدا طائرٌ موفٍ على علم
وخصّنا باعتناءٍ من شفاعتهِ   في مشهدٍ بازدحامِ الناس محتدم
ومدَّ ظِلاً علينا من كرامته   في موقفٍ باقترابِ الشمسِ مضطرم
يا ربنا هبْ لنا عفواً ومغفرةً   ورحمةً منك يا ذا الطوْل والكرم
وجلِّ عنا بأصباح لمغفرةٍ   ظلامَ ليلٍ من الآثام مرتكم
وامننْ بما ترتجيه منك أنفسنا   وانفعْ بما قلتُ من نظمٍ ومن كلم
وافتحْ لنا بابَ رحماك التي وسعتْ   أهلَ الخطايا وبالحسنى لنا اختتم

تم التسبيح المبارك

٣٧

وقال ايضاً يمدح الامير ابا يحيى

بُشراي أنْ يممتُ خيرَ مُيمَّمِ ... وحططتُ رحلي في أعزِّ مُخيَّم
ووجدتُ نارَ هدىً على ليل السرى ... فَرَجَتْ لعيني كلَّ بابٍ مبهم
فتركتُ خفْضَ جناحِ عيشٍ أفيحٍ ... وسريتُ تحت جناحِ ليلٍ أسحم
وكأنني لليُمْنِ إذ أسْري به ... أُمْطيتُ صَهْوةَ أشقرٍ لا أدهم
حتى قدِمْتُ على مقامٍ عنده ... بشَّرتُ آمالي بأسعدِ مَقْدَم
ولمحتُ غُرَّةَ قائم متهلل ... يسطو بصرفِ الحادث المتجهم
جرّار كلّ كتيبةٍ جرارةٍ ... أذيالَها فوق القنا المتحطّم
في جحفلٍ جمِّ اللغات مُجَمَّعٍ ... بين الفصيحِ لسانُه والأعجمِ
وعصابةٍ مهديَّة متقلدي ... هندية كَسَنا البروق المضرم
ما أُلبست مذ زايلتْ أغمادَها ... بأكفهمْ الا غُموداً من دم
كتبتْ على الأعداء رقّاً عن دمٍ ... منهم يسيلُ وأدمعٍ كالعندم
من كل ساطٍ يومَ بأسٍ أو ندىً ... بالبيضِ بين تَبَسُّلٍ وتبسُّمِ (١)
يقري الكماةَ ظبا السيوف وتارةً ... يَقْري الضيوفَ ذرى السنام الأكوم (٢)

---

(١) التبسل : العبوس .

(٢) الكماة : الفرسان؛ الأكوم : العظيم .

ملكٌ أقام صَفَا العُصاةِ وَمَيْلهُمْ   عن كلّ مطَّردِ الكعوبِ مقوم [1]
ورمى العداة ففلَّ غرب صميمهمْ   عن كل مطرورِ الغُروبِ مصمّم [2]
ما يحتمي بالجيش كلا بل بــه   وببأسهِ الجيشُ العرمرمُ يحتمي
قد صيَّر الدنيــا اتصالُ أمانِها   حرمــاً بصارمه المحُلِّ المحْرم
ان الامير حمى وحاطِ حمى الهدى   بالرأي والرَّعْيِ السديدِ المبرم
فأعدَّ للإسلام أنفسَ عُـــدَّة   وبنى بنــاءً ليس بالمتهدّم
نِيطَتْ ولايةُ عهــدِه بسليله   وشبيهِ والشبلُ شبهُ الضيغم
فغدتْ به تعلو ويستعلي بهـــا   كالسيفِ في كفِّ الشجاعِ المقْدم
فالدينُ والدنيا معاً قــد بَشَّرا   منـه لأنوار الهـــدى بتمّم
نَضِرَتْ شبيبته ولكنْ عودُهُ   عاصٍ على الأعداءِ صُلب المعْجَم
فسنوهُ مشبهةٌ أنابيبَ القنــا   عَدَداً وعدُّ خلالِه كالأنجم
بأسٌ كما ترمي السماءُ بشُهْبها   وندىً كما تنهلُّ هاطلةُ السُّمي
واذا ابو يحيى تعاجَلَ والحيــا   أزْرَتْ أناملهُ بِنَوْءِ المرْزَم [3]
ملكٌ الى عليــا أبي حفص نمي   أكرِمْ بذاك المنْتَمَى والمنتمي
من آل عبدِ الواحــد الغرّ الالى   جَبْرُ الكسيرِ بهم ويُسْرُ المُعْدم
هم سكّنوا نَزْوَ الخطوبِ ونظموا   بالعدل مــا لولاهم لم يُنْظَم
آثارُ هــديٍ فيهمُ موروثةٌ   وشناشنٌ معروفــةٌ من أخزم
وعلاً تواصَوْا كابراً عــن كابرٍ   بتراثهنّ على الزمانِ الأقدم
صلّى الملائكةُ الكرام عليهمُ   وسقى الغمامُ عظامَ تلك الاعظم

(١) الصفا : الميل .
(٢) مطرور : محدد .
(٣) المرزم : نجم من نجوم المطر .

أوليَّ عهـــدِ المؤمنين المرتضى   لإقامـــةِ الدينِ الحنيفِ القيِّم

في كلِّ يومٍ انت موجبُ أَنْعُمٍ   تقضي لنا بوجوبِ شكرِ المنعم

رُعِيَ الرعايا منك اذ ربيع العدا   بمنـــيمٍ يقظانٍ وموقظِ نُوّم

هيهـــات تعتصمُ الأعادي منكمُ   ولو ارتقَوا في مثل رَوْقِ الأعصم

أمطرتهـــم مطراً كأنَّ ربابَهُ   رِجْلُ الدَّبا يبدو بجقلٍ أقتم [1]

من كلِّ لافظةٍ بما في صدرهـــا   تمسي وتصبحُ للردى كالقـوَّم [2]

تحنو على أبنائهـــا وتُبينُهُمْ   كَفعالِ ذي الرُّحمى ومَنْ لم يرحم

ما ان تغادرُ إذ ترنُّ لثكلهم   أُمّاً ولوداً غـــير ثكلى أيِّم

فغدت قسيُّ النبعِ مثمرةً لكم   بالنصرِ وهو من النبات الأعقم

أعشت نواظرَهم بروقُ قواضبٍ   يلمعن في زَجِلِ الرعودِ مُزَمْزِم

ومغيرةٍ وجهَ النهـــار ومدُّه   ليست اذا صامَ النهارُ بصيِّم

يخرجنَ من خَلَلِ القتـامِ عليهمُ   من بطنِ وادٍ أو ثنـايا مَخْرَم

ويطأنَ أذيالَ السوابغِ مثلمـــا   عــثر النسيمُ بجلدةِ ابن الأرقم [3]

لست تلمساناً بِخُشْنٍ براثنٍ   من كل نابي الظـُّفر غـــيرِ مقلم

ينبيك صارمُه وتعلمُ أنـــه   هـــادٍ الى رأس الكميِّ المعلم

عاطى الصفاحَ مدامةً إبريقُها   بسبائب الكتّان غيرُ مفدَّم

فترى الذبابَ بهـا يغني في الطلى   « هَزِجاً كفعل الشارب المترنم » [4]

ماجتْ بها لججُ الحديدِ محيطة   « فتركن كلَّ حديقة كالدرهم »

كم مَعْلَمٍ قـــد غادرته مَجْهلاً   او مَجْهَـــلٍ صَيَّرْنَهُ كالمعلم

كم ذاب منهم من فؤادٍ جامـدٍ   عند العظاتِ ومن نجيع منهمي

---

(١) الدبا : الجراد ، والرجل : الجماعة من الجراد ، ويعني بالمطر هنا السهام التي رماهم بها .

(٢) لافظة بما في صدرها : كناية عن القوس ينطلق عنها السهم ، والأبيات التالية في وصفها.

(٣) أي مساً خفيفاً كما يمس النسيم جلد الحية الأملس .

(٤) الذباب : حد السيف ، الطلى : الاعناق ، ونقل قول عنتر عن وجهه .

لولا جميل الصفحِ عنهمْ أصبحوا … خبراً هنــاك لمنجـــدٍ ولمتهم
يشدو لسانُ الحـــال في أطلالهمْ … ما قــال حارث جرهمٍ في جرهم (١)
فجميعُ ما يمتهم من بعدهـــا … مُلْـقٍ لأمركمُ يـدَ المستسلم
في كل يوم تنتحيك عقيلةٌ … عـــذراءُ من أُمِّ الفتوحِ المُتْئِم
ووفودُ شكرٍ لا تزالُ اليك من … كلِّ النواحي بالنـواجي ترتمي
نعمتْ بكم أرواحُنا فسرى بهـا … منا الشحوبُ على الوجوه السهّم
كم قـــد قطعتُ اليكمُ من قفرةٍ … يهماءَ في ظلمـاءِ ليـــلٍ أبهم
وطويتُ كلَّ مـلاءة نشر الملا … بعزيـــة مثـل الحسامِ المخذم
وبأحرفٍ عَجَم النوى أعوادها … حتى لقد ضاهَتْ حروفَ المعجم
ورفعتُ أكواري على مرفوعةٍ … أنساُبهنَّ الى الجـــديلِ وشدقم
جَشّمتها تقطيعَ جوزِ مفازةٍ … مـــا يستبينُ عليه ميسم منسم
حتى لقد سئم التهجدُ والسرى … من وخدِها لكنهـــا لم تسأم
وتيممتْ من مجـــدِ مولانا ابي … يحيى ابنِ مولانا أعزَّ مُيمَّم
أمّتْ نداه عـن يقينِ محقّقٍ … لرجائِه لا عن ظنونِ مُرَجِّم
زِنَتْ المدائحَ والمحامدَ باسمه … فوسمتهـــا منه بأحسنِ ميسم
أبكارُ افكارٍ رخيم لفظهـــا … عادتْ لها عُوناً عذارى مُسْلِم (٢)

---

(١) لعله يشير الى قول عمرو بن الحارث الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا … أنيس ولم يسمر بمكـــة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنـــا … صروف الليـــالي والجدود العواثر

(٢) يعني قصائد مسلم بن الوليد صريع الغواني .

أضحتْ عن الزوراءِ أندلسٌ بهـا   زوراء تنفر عن حياضِ الديلم [١]
تُزْري بحسّانٍ وَحُسنِ مديحِهِ   في الحارثِ الجفْنيّ وابن الأيهم
وتغادرُ الشعراءَ تنشد بعدهـا   « كم غادر الشعراء من متردم »
جمعتْ بديعَ الحُسْنِ بين مرصّع   وَمُصَرَّعٍ ومقسَّم ومسهّم [٢]
لا زالتِ الدنيـا تُحاطُ بِرَعْيكمْ   وَتُجـادُ منكمْ بالنُّهى والأنعم
وتبسمتْ عن كل ثغرٍ المنى   ايامُكـُمْ أبـدا لكلٍّ ميمِّم

(٢) الزوراء : اسم لمواضع عدة منها حي ببغداد ؛ زوراء : مائلة نافرة ، ووجه في البيت قول عنترة :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت   زوراء تنفر عن حياض الديلم

والديلم : الأعداء وقيل هو ماء لبني سعد .

(٣) هذه مصطلحات بلاغية ، تراجع في كتب البلاغة . والتسهيم منها يسميه قدامة التوشيح وهو كقول الشاعرة « مفيتاً مفيداً نفوساً ومالاً » أي مفيتاً نفوساً ، ومفيداً مالاً .

٣٨

وله رحمه الله تعالى

أيعلمُ مــا يلقى منَ الشوقِ لائمٌ   اذا ما شَجَتْهُ من حبيبٍ معالمُه
وكيف وما سالٍ بحالٍ كواجدٍ   وهل يستوي خِلوُ الفؤاد وهائمُه
يبيتُ ، اذا ما البرقُ أبرقَ ، جَفنُه   بليــلِ سليمٍ ساورَتْهُ أراقمه
وما البرقُ أنهى لي هوىً غير أنّ بي   هوى ربربٍ تحكي البروقَ مباسِمه
طوتهنّ أحــداجُ الحمولِ كما طوى   على سرّ من يهوى الجوانحَ كاتمه
مررنَ بنا والدمعُ يسفحُ وَبْلُه   عليهــا أسى والطلُّ ينهلُّ ساجمه
تتابعُ من خيطِ الظلام فواصلاً   كلؤلؤِ عِقدٍ أسلمَتْهُ نواظمه
يَجُزْنَ بروضٍ قد تحمّلنَ مثله   ولكنّ أنفاسَ العذارى مواسمه
اذا المُلدُ من قُضْبِ القدودِ به انثنت   تغنّت من الحَلي المرنّ حمائمه
قررْنَ فلم يشعرنَ حرَّ تنفُّسي   وقد يُذبِلُ الوردَ النضيرَ سمائمه
فامسكتُ أنفاسي وراسلتُ أدمعي   فأبصرتُ زهراً تنتحيه غمائمه
حبيبٌ اذا نمّتْ على طيفِهِ الصَّبا   بمسراهُ خلتَ المسكَ فُضّتْ لطائمه
فكم بات منه مدنياً لي على النوى   خيــالٌ على الأكوار بتُّ أنادمه
ألمّ وجنح الليل يضفو جناحُه   عليه وولّى حين قُصّتْ قوادمه
وأشعَرهُ أنّ الثريا تساقطتْ   خواتِمُها لما بردن خواتمــه
لحا اللهُ مَنْ إن فاتهُ وصلُ خُلَّةٍ   أُبينَتْ عليهــا سنُّهُ وأباهمه
ولا درَّ الا درُّ مَنْ بات عزمُهُ   تضيقُ بضيقٍ للفضَاءِ حيازمه

وجوز فلاةٍ جُبْتُهُ كلما بدا　　لنا منه نجـــدٌ أردفته تهائمه
يصدِّقُ فيــه المرء قولَ مزاحمٍ　　اذا ما غدا بالعيس وهو مزاحمه
. . . .　　وليس بمعبور على الفلك دائمــه
قطعتُ بعيسٍ كالسفائن لم يَزَلْ　　يُلاطمها من موجه مــا تلاطمه
إلى خيرِ بحرٍ ما تَنَاهى سيوبُهُ　　وأكرمِ غيثٍ لا تُغِبُّ سواجمه
الى ملكٍ تُحيي المنى نفحاتــه　　وتردي العــدا هبَّاتُهُ وعزائمه
أميرُ الهدى نجلُ الهداةِ الذي به　　غــدا الدينُ مُرْساةً طوالاً دعائمه
سلالةُ عبدِ الواحد الأوحدِ الذي　　أبرَّت على غرِّ الغوادي مكارمه
سليلُ أبي حفصٍ سراجِ الهدى الذي　　به ظُلَمُ الأرض انجلتْ ومظالمه
هُمامٌ اذا ما الخطبُ أعضلَ داؤهُ　　غدا بالحسامِ المُنْتَضَى وهو حاسمه
له يومُ بأسٍ مشرقُ الجو مظلم　　ويومُ سماحٍ مشمسُ الأفقِ غائمه
تبيتُ تنــاغي خيلُه بصهيلهــا　　صريرَ العوالي فوقهــا وتُناغِمه
وتقرأُ في هام العدا أسطرَ الردى　　ظُباهُ وفي طيِّ الضلوع لهاذِمُه
ويجهــدُ في رعي الرعايا جفونَه　　سُهاداً ، وكلٌّ نائمُ الجفنِ ناعمه
فما واصَلت نوماً غِراراً جفونه　　ولا بَرِحَتْ منه الجفونُ تصارمه
يُزيرُ الأعادي كلَّ جيش ، أمامه　　اذا سار ، نصرُ الله والفتحُ قادمه
وجرداً أثارتهــا العزائمُ فانبرتْ　　كخيطِ نعامٍ قد أُثيرت جَوَاثمه
ترى كل معقودٍ أعــالي عِذاره　　بمستشرفِ الهادي أسيلٍ ملاطمه
يصيدُ النعامَ الرُّوحَ في صَدْرِ مَجْفَلٍ　　يصدُّ الرياحَ الهوجَ حين تصادمه [1]
فمهما تحط يوماً به فهي وَشْحُهُ　　ومهما تطارده فهنَّ أداهمــه
يسيّره في ظلمــةٍ من عجاجةٍ　　ولولم تطأْ الا الصِّلادَ صلادمه
دجى رَهَجٍ ، أُذْنُ الجوادِ دليلُهُ　　بها ودليل السِّيد فيهــا خياشمه

---

(١) الروح : جمع أروح وهو يشبه الأفحج ، ويوصف به كل النعام .

ويا رب مغترٍ بمـا زوّرَتْ له   أمانيه مُستَهوىً بما هو حالمه
لبسنَ إليـه القاتمات ودُونَهُ   من الأرض بَرٌّ أغبرُ الجو قاتمه
فما راعـه إلا وجيشكَ مالىء   عليه الملا : عِقبانُه وضراغمه
فعزَّته أسيافٌ قواصلُ أوشكت   بوقعهـا تجني عليه قواصمه
ولولم تطهّرْ نفسهُ في مَتَابهـا   مآتمَهُ قامت عليه مآتمـه
اذا ما قبيلٌ لم تُطعْهُ قلوبُه   أطاعتْ فلم تعصِ السيوفَ جماجمه
ولولم تذُدْ بالسيفِ عن حَرَم الهدى   أُبيح حماهُ واستبيحتْ محارمه
فأنت الذي يحيي الهدايَة أمرُهُ   ويصرمُ أعمارَ الضّلالة صارمه
وتروي ظباه كلَّ هامةِ منزلٍ   من الثغر تستقي السيوفَ طواسمه
وتحنو على تلك الربوعِ كما حنت   على مربع أطيـاره ورَوائمه
إلى مثلِ هذا اليوم سرتَ لياليـا   كما أسودَّ من لون الشبيبة فاحمه
وشهبـاً من الأيام واصلتهـا بها   كما أبيض من لون الكبير مقادمه
فخضتَ سراباً يغرق النور لجّه   وجبتُ سجيراً يحرق الهُدْبَ جاحمه
بعيسٍ اذا ما الآل عبَّ فلم تعم   بلجته الانسامُ فهي عوائمه
يردنَ مياهَ الفجر غيـر سواهمٍ   وما هنَّ في روض الظلام سوائمه
وتُعرِضُ عن شَيْمِ البروق فأن بدا   لهـا بارقٌ منكم فهنَّ شوائمه
تُقِلّ ثناءً يبهر البحرَ سجْره   ودرّاً له يستقصرُ الدرَّ ناظمه
ويحملن للأمواجِ روضاً تفتحتْ   بنَوْرٍ من المعنى البديع كمائمه
نواسم حمدٍ لن تجيء بمثلهـا   عليَّ بني حمدان يومـاً عواصمه
فدام لكم دَرُّ الفتوح ، ودُرُّها   على سلككم أيدي الليالي نواظمه
ولا زال مُلكٌ أنت طالعُ سعدِه   عن اليُمْنِ والاقبالِ يَفتَرُّ باسمه

٣٩

وقـــال *

مَلأتْ من أَبْدَعِ الحِكَمِ ... دلوَ آمـــالي الى الوَذَمِ (١)
بنتُ فكرٍ قُمْتُ اذ قَدِمَتْ ... لتلقيهـــا على قَـــدَمِ
فارتوى منهـــا على ظمأ ... خاطري من مَوْرِدٍ شَبِمِ
أصبحت أولى بمـــا نَسَبَتْ ... لي من الأحسانِ والكرم

* * *

دونكم مـــا قـــد تكلّفَهُ ... ومنها خاطرٌ يشكو من السأم
مِنْ بوادي الشعر هام هوىً ... ففؤادي فيـــه لم يَهِمِ
إنّ رسمَ الشعرِ في خلدي ... طَلَلٌ أَقوى على القـــدم

٤٠

وقال **

سلطانُ حُسْنٍ عليه للصّبا عَلم ... اذا رأتهُ جيوشُ الصَّبرِ تَنْهَزِمُ

(*) انظرها في اختصار القدح المعلى : ٢١ .

(**) البيت في اختصار القدح المعلى : ٢١ وازهار الرياض ٣ : ١٧٨ ؛ وهو مطلع قصيدة ضاع سائرها .

(١) اختصار القـــدح : ملأت لي من ؛ وهو خطأ ؛ الوذم : ما يشد به الدلو من جلد بين آذانها وعراقيها .

٤١

وقال أيضاً يمدح الأمير أبا زكريا رحمه الله

أَيْمَنَ الركبُ فيامِنْ ... تزجرِ الطيرَ أَيامنْ
ولتسلْ عنهم نسيماً ... ضاع من تلك الظعائن
واستمعْ نغمةَ شادٍ ... للحلى فيَّ جيدِ شادن
يا نوى الأحبابِ كائن ... هجتِ من خَطْبٍ وكائن
آهِ من حلمٍ مضاع ... يومَ ذاك الحِلْمُ ظاعن
غصنُ آسٍ شربه ما ... ءُ شبابٍ غيرُ آسن
كم مُلاحٍ لىَ إفصا ... حاً عليه ومُلاحِن
ليس يضحي أُفْقُ أُنسي ... من مداجنٍ لي مُداجن
لا ولا أنفكّ دهري ... من مُدارٍ لي مُداهن
إن أسراري بَوادٍ ... في هوى البيضِ البَوادن
أشتكي من نَفَسٍ عا ... لٍ به سرّيَ عالن
ودموعٍ مشبهاتٍ ... جودَ يحيى وهو هاتن
ملكٌ لله منه ... ظاهرٌ زاكٍ وباطن
ما له — علماً — موازٍ ... ما له — حلماً — مُوازن
جوده للغيثِ ثانٍ ... وهو للأبحرِ ثامن
ناثرٌ نظمَ الأعادي ... ناظمٌ شملَ المحاسن

قلّـد العهدَ وليـاً | عِقْدُهُ ليس بواهن
ذو خـلالٍ كلها حـ | ليٌ لجيدِ الملك زائن
قمَرا تمٍّ أنارَتْ | بهما السُّحْمُ الدّواجن
وسجايا نائـلٍ تحـ | كي بها السحب الهواتن
معدنٌ آل أبي حـ | فص نَمى خير المعادن
خير أملاكٍ نأتْ عن | وصفهم إلا ولكن
أعرقت في كل ناشٍ | منهمُ تلك الشناشن
فهيَ للعافي أواسٍ | وهي للعاصي أواسِن (١)
يا إمامـاً أصبح الدي | نُ إليـه وهو راكن (٢)
والذي حزبُ الهدى لا | قٍ بـه للفتح لاقن
من لملك لم يدِنْ فهـ | و لعليائك دائن
فلـك الأيام آمٍ | وبك الاسلام آمن
فهنيئـاً بانتظـامٍ | للمنى والأمنِ ضامن
فبـلاد الغرب وعدُ الـ | فتح فيهـا لك آين
ورأت سبتةُ منهـا | كلَّ شعبٍ متبـاين
قد دعاهمْ من مُعَالٍ | للهدى داعٍ معالن
بَيعـةٌ قـد عـقدَوها | لك بالطّـيْرِ الايامن
فذراها بك هـادٍ | في ظلال الأمنِ هادن (٣)
في حمى ملكٍ مطاعٍ | عن حمى الدين مطاعن
فمنى أندلس قـد | فشلت عنهـا الكنائن

---

(١) أواسن : تدير الرأس من غشي أو دوار .
(٢) ركن الى الشيء : مال .
(٣) هادن : ساكن .

حركت آمالهم إذ أصـ بحت وهي سواكن
فادّركها بالجيادِ الـ لاحقيّاتِ الصوافن
فمغاني غربها قـد أوحشت منها المساكن
ومغـاني الشرقِ داجٍ أُفقُها بالنقعِ داجن
أَصبحتْ وهي مواطٍ للعدا تلك المواطن
يا ربوعـاً أقفرت من ناطقٍ فيهـا وقاطن
كم حديثٍ عن قديمٍ منك شاجٍ ليَ شاجن
آه من رشدٍ مفات فيك عن غي مفـاتن
ولحـاءٍ بالمـواضي جالبٍ حَيْناً لحـائن
علَّ يحيى منك يحيي ما أماتته الضغائن
بخميسٍ ضـاقت الآ فـاق عنـه والأماكن
لُجَجُ البيضِ جوارٍ فيـه والبيضُ الجوارن [1]
وعـوالٍ لتـلافيـ هنّ أجراسٌ عوالن
وجيـاد تنثني أجـ يادها مثلَ العواهن [2]
حملت تحت العـوالي كلّ قاريٍّ وقـارن [3]
مستدرٍّ للقنـا مـا رٍ دمـاً مِنْ كل مارن [4]
أُسدُ غيل ما لهـا غيـ ر العـوالي من براثن

---

(١) الجارن : اللين ، وهو صفة للدروع .

(٢) العواهن : جرائد النخل .

(٣) القاري : المنسوب الى القارة وهم مشهورون برمي السهام ؛ القارن : الرجل ذو سيف ونبل أو ذو سيف ورمح وجعبة قد قرنها .

(٤) مار : اسم فاعل من مرى ، بمعنى استدر . المارن : ما لان من الأنف .

كلٌّ آتٍ قرنَه يسـ   عى بخطوٍ غـــير آتن [1]
ليثُ غابٍ ليس في الهيـ   جـــاءِ للبيض بغابن
دونكم غُرّ الـــلآلي   من فُـرادى وقرائن
قـــد تحلّتْ بصفاتٍ   حسنها للقلب فـــاتن
واليـــكم خضْتُ كالبحـ   ـرِ بأمثال السّفائن
غير لابٍ ضِفْتُ فيها   كلّ ضيْفٍ غير لابن [2]
أُوردُ الوجناءَ فيهـــا   كُدْرَ أمواهٍ أواجن
أشبهت حرْفَ هجاءٍ   وهي حرْفٌ من هجائن
طوّقتْ أرقمَ غـــابٍ   فامترت درّ المغـــابن
وعيونـــاً كبقايا   من دهانٍ في مداهن [3]
وشفتهن سوافٍ   لثرى الأرض سوافن
فالسُّرى للسير فيهـــنّ   مُصافٍ ومصافن
لا تزلْ محفوفـــةً منـ   ـك البرايا بالمآمن
من أمـــام ووراءٍ   وشمـــالٍ وميـــامن
فتَروّى من أُوامٍ   وتُرى وهي أوامن

---

(١) آتن : مقارب في الخطو .
(٢) اللاب : جمع لابة وهي الحرة ذات الحجارة السود ؛ لابن : ذو اللبن .
(٣) المداهن : نقر يجتمع فيه الماء .

٤٢

وقـــال ايضا

يا ظبيةَ العَفَرِ الحـــالي مُؤَالفه … من قلَّدَ الحلْيَ آراما وغزلانا
و يا شقيقةَ بدر التِمّ ، لو أَمِنَتْ … كما أمنت بدورُ التم نقصانـــا
حاَشا للحظك أن يُعْزى إلى رشأ … إذا تلفَّت نحو السرب وسنـــانا
ولابتسامكِ أنْ يُعْزى إلى زَهَرٍ … إذا غـــدَا بسقيط الطَلّ ريّانا
ثغرٌ تَجَوْهَرَ سلسالُ الرُّضابِ به … حتى بدا لؤلؤاً رطباً ومرجـانا
ما خلتُ قبلك ان أرنو الى قَمَرٍ … مقلداً أنجُما زُهْرا وشهبـــانا
سلطانُ حسنِك مذ دانتْ بطاعَتِهِ … قلوبُ أهلِ الهوى لم تنوِ عصيانا
ليت العيونَ التي ترنو فتسحرنا … كانت كما نَحْنُ نهواهنّ تَهـوانا
يا عاذلي في الهوى أقْصِرْ فلستُ أرى … مقصّراً في الهوى عن شأو غيلانا [1]
إنا بني الحب لا نصغي إلى عَذَلٌ … ولا نُميل الى العـــذّالِ آذانا
ولم يلج عندها في سمعنا عَذَلٌ … . . . . [2]
فكيف تعذلُ صباً عُذْرُ عاشِقِه … في وجهه اليوسفيّ الحسنِ قد بانـــا
ظبيٌ غدا يرتعي حبَّ القلوب ولا … يرعى عراراً بومـــاةٍ وظيانا
لا بل . . . . [3]

(١) غيلان بن عقبة : هو ذو الرمة الشاعر صاحب مية .
(٢) كرر الناسخ الشطر الثاني من البيت السابق .
(٣) هنا أبيات سقطت من القصيدة قد تبلغ ثمانية .

وأعلمتني بأنَّ الليــلَ موعـدُنا   فظلتُ مرتقباً ميقاتَ لُقيـانا
حتى اذا الليلُ أخفى الشخصَ غيهبُهُ   فلم يكنْ يُبصِرُ الانسانُ انسانا
وافيتُ منزلهـا والنجمُ يرمقني   حتى لكدتُ أظنُّ النجمَ غيرانا
فبتُّ مجتلياً للبـدرِ مجتنيـاً   من روضةِ الحسن تفاحاً ورمـانا
حتى اذا الصبحُ أنبـانا بطلعته   بَرْدُ السوارِ فأذكى القلب نيرانا
مـالتْ تودعني والدمعُ يغلبهـا   على الكلامِ فلا تسطيع تبيـانا
أدنى التعـانقُ شخصينا وضمَّهما   لفَّ النواعِم بالأغصانِ أغصانا
فيالهـا ليلةً مـا كان أقصرَها   وقتاً وأفسحَها في الحُسْنِ مَيْدانا
ما الحبت أوجهُ الآفاقِ غيبتهـا   حتى تعيت فيهـا الصبح عريانا
يا مُسهِداً لي بطرفٍ منه ذي وَسَنٍ   ومسكراً لي بلحظٍ منه سكرانا
ان كان [. . . .]   فانني منـه لا أنفكُّ نشوانا
وان [تكن انت في خفض و] في دعةٍ   وفي نعيمٍ فـكم أسهرتَ اجفـانا
يا قاسيَ القلب لَيْنَ العِطْفِ ليتك لم   تقرنْ بما قد قسا منك الذي لانا
كن كيف شئتَ وصالاً أو مقاطعة   فلستُ عنكَ أطيقُ الدهرَ سُلوانا (١)

* * *

بشرى ببيعةِ مولانا ابن مـولانا   فـكم أيادٍ بها الرحمن أولانا
جَلَّت بها عندنا نُعْمَى الأله فمـا   أحقَّنـا بسراتٍ وأولانـا
خلافةُ اللهِ صارتْ من إمامِ هُدَىً   الى إمـام هدىً بالعدْل أحيانا
جاءتْ اليه لميقاتٍ وجـاء لها   كما لميقاتِه جاء ابنُ عمرانـا
وعندما قدَّرَ الوقتُ السعيدُ لها   جاءتْ على قَدَرٍ تلقـاهُ لقيانا
كم قائلٍ قال لما أن تقلَّدهـا   قـد قلّد المُلكَ داودٌ سليمانا
وقد أقام لرعيِ الخلقِ خالقُهُمْ   خليفةً قد أقـامَ العدلَ ميزانا
كأنما الله قد أحيـا خليفتَه   لنـا بخيرِ إمام قـد تولانا

---

(١) يبدو أن بعد هذا البيت ابياتاً اخرى سقطت من القصيدة .

بالواثقِ الملك المحيي خليقتــه ... يحيى أبي زكرياءَ ابنِ مولانا
ألقى لك اللهُ مولانا مقـالدهـا ... لكي تَقلّدها دُرّاً وعقيانـا
فقُلِّدَتْ عِقْدَ فخرٍ اذ غدَتْ لكمُ ... تاجاً يفوقُ من الأفلاكِ تيجانا
وانجزَ اللهُ وعــداً من خلافته ... لهمْ كما قد اتى في الذكر إتيانا
حباهُ ربك أوصافاً حباه بهـا ... خلافةٌ ردّت الأملاكَ عبدانا
علماً وعدلاً وبأساً في العدا وندىً ... سحّاً وصفحاً عن الجاني وغفرانا
ومنصباً عمرياً قد سَمَتْ شرفاً ... به عديٌّ الى علياءِ عدنانـا
لما جمعتَ الشروطَ الموجبات لهـا ... جاءتْ تحنُّ الى علياك تحنـانا
وأصبحتْ وهي حقٌ للأحقِّ لها ... تعلو به مثلمـا يعلو بهـا شانا
سمت بعليـاه وازدانتْ به شرفاً ... كما تسامى بها في الدهر وازدانا
أحرزتها عن أبٍ هادٍ رضىً فأبٍ ... ذخراً يدومُ على الدنيا وَقُنْيانا
فقد أخذت صحيحَ المُلكِ عن سندٍ ... عالٍ واحكمْتَهُ ضبطاً وإتقانـا
مقدمـات بإنتـاجٍ لملككمُ ... قضت وأعطتْ به علماً وإيقـانا
ومنتجات قضايا بالخلافة قــد ... قضتْ لكم وغدتْ في الصدق برهانا
وحين أضحتْ لكم بالحقِّ واجبةً ... لم تلفِ فيها ملوكُ الارض إمكانا
هـذا هو الحقُّ والبرهانُ يعقدُهُ ... وانما ينكرُ البرهانَ مَنْ مانا
شادت عُلاك من الأملاكِ اربعةٌ ... أئمـةٌ أصبحوا للهَدْيِ اركانا
شادَ الامـامُ ابو حفص لملككم ... بيتـاً وأعلى له سمكاً وحيطانا
وما حكى بيتُ ملك بيتَ ملكك أبي ... محمدٍ نجلِهِ الهـادي ولا داني
وشاد من بعده الهادي الامير لكمْ ... رواقَ مُلكٍ على الدنيا وايوانا
وبعـده شاد مولانا الامامُ لكم ... ملكاً يسامي من الخضراءِ أعنانا
وشاد سعدك مولانا وسيـدنا ... ملكاً يفوق دراريا وشهبـانا

[والله أسأل] ان يزداد ملككمُ تعاليـاً ويطول الدّهر بنيانـا
. . . . ازداد ملكُ ابنِه فضلاً ورُجْحانا
. . . . أسعد اذ ولاّه حيـانا
. . . . امصاراً وبلدانا
هدى وآوى وأحيا انفساً فغدا نوراً وظلاً ورَوْحاً فيـه محيانـا
. . . . الشر ينهانا
فان رجونا اهتداءً فهو ملجؤنـا وان خشينا اعتداءً فهو مَنْجانا
أباح مَسْرَحَ نعماه لنـا كرماً وجادنا غيثُ يمنـاهُ فأَرْوَانا
. . . . السماء ميدانا
جاشتْ على أوجه الدنيا عساكرُهُ وغطّتِ الارضَ أنجاداً وغيطانا
. . . . آنـا
وكل حامٍ حمى التقوى مبيحُ حمى أرضِ العداةِ مخيفٌ أُسْدَ خَفّانا

٤٣

وقـال *

من قال حسبي من الورى بَشَرٌ فحسبيَ اللهُ ! حسبي الله
ربي عزيزٌ في ملكه صَمَـدٌ لا عزّ إلا لمن تولاه
لولاهُ لم توجدِ السماء ولا الارضُ ولا العـالمون لولاه
كم آيـة للإله شاهدةٍ بأنـه لا إله إلاّهُ

* البيتان الأول والرابع في أزهار الرياض ٣ : ١٧٢ وبغية الوعاة : ٢١٤ .

منظومـة ميمية

في النحو

عن نسخة الاحمدية رقم ١٦١٠

٤٤

منظومة الشيخ أبي الحسن حازم بن محمد في النحو

١ الحمـــدُ لله مُعلي قدرَ من علمـا — وجاعلِ العقلِ في سُبْلِ الهُدى علما
٢ ثم الصلاةُ على الهادي لِسُنَّتِه — محمدٍ خيرِ مبعوثٍ بــه اتّسما
٣ ثم الدعا لأمــيرِ المؤمنين أبي — عبدِ الإله الذي فاقَ الحيا كرما
٤ خليفةٌ خلَفَتْ أنوارُ غُرّتِه — شمْسَ الضحى ونداهُ يخلفُ الديما
٥ سالتْ فواضلُه للمعتفي نعمـاً — صالتْ نواصِلُه بالمعتدي نِقَما
٦ يُحيي العفاةَ بسهمٍ من مَكارمه — كأنّه صيِّبٌ للمزنِ قد سجما
٧ يُردي العداةَ بسهم من عزائمــه — كأنه كوكب للقذف قــد رجما
٨ أدام قولَ نعم حتى إذا اطّرَدتْ — نُعماهُ من غيرِ وعدٍ لم يَقُلْ نعما
٩ كم قد أباح حمى حزبِ الضلالِ وكم — حمى الهُدى بجيادٍ تعلِكُ اللُّجُما
١٠ تستنزلُ العُصْمَ من أعلى شواهقها — وتسلبُ القمَمَ الطمّاحة العِمَما
١١ يا أيها الملكُ المنصور ملكُكَ قد — شبّ الزمان به منْ بعدِ ما هرما
١٢ فلو شأى من مضى أدنى مكارمكمْ — لم يذكروا بالنَدى معناً ولا هرما
١٣ ان الليالِيَ والايامَ مذ خَدَمَتْ — بالسَّعدِ ملككَ أضحت أعبداً وإما
١٤ فمن سعودِ نجوم أو صعادِ قناً — قد صُيِّرت لك أملاكُ الورى خدما
١٥ لقــد رفعتَ عمــاداً للعلا فغدا — يعلو قياماً ويعلو قــدرهُ قيما
١٦ أقمتَ وزنَ شمس العدلِ فاعتدلتْ — فلم يدعْ نورُها ظُلْماً ولا ظُلَما
١٧ فتونسٌ تؤنس الأبصارَ رؤيتُها — وتمنحُ الأممَ الأسماء والامــا

١٨ كأنما الصبح فيها ثغرُ مبتسمٍ وحوّةُ الليلِ فيها حُوّةٌ ولمى
١٩ فأقبلتْ نحوها للناس أفئــــدةٌ ترتاد غيثاً من الإحسانِ منسجما
٢٠ فكلهمْ حضروا في ظلّ حضرتكم فأصبحتْ لهمُ الدنيا بها حُـلُما
٢١ قد ندّ فيها الأسى عن أهلِ أندلسٍ والأُنس فيها عليهمْ وفدُهُ قَـدِما
٢٢ وأُبدلوا جَنـّةً من جنةٍ حُرِمُوا منها وقد بُوّؤا منْ ظِلّها حَرَما
٢٣ وأشبهوا سبأً إذ جاءهمْ عَرِمٌ من العدا لم يدعْ سدّاً ولا عرما
٢٤ أبدلتُ قافيةً من بيت ممتدحٍ أوردتـُهُ مثلاً في رَعْيِـكَ الأمما
٢٥ « وكـَّلْتَ بالدهرِ عيناً غير غافلةٍ مِنْ جودِ كفّك تأسو كل مَنْ كـُلِما»
٢٦ وصُلْتَ مستنصراً باللهِ منتصراً على العــدا واثقاً بالله معتصما

حمد وثناء

٢٧ أمّا على إثر حَمْدِ الله ثم على إثر الصلاةِ على مَنْ بَلـَّغَ الحِكمَا
٢٨ وما تلا ذاك مِن وَصْلِ الدعاءِ ومِنْ نشرِ الثناءِ على من أسبغَ النعما

نظم النحو

٢٩ فاسمعْ لنظمٍ بديعٍ قد هَدَتْ فِكـَري
له سعادةُ مُلـْكٍ أجزلَ القِسَما
٣٠ حديقةٌ تبهجُ الأحداقَ إنْ سطِرَتْ من نحوها ناسمٌ للنحوِ قد نسَما

حد الكلام والنحو

٣١ فاسمعْ الى القولِ في طُرْقِ الكلام وما
عِلْمُ اللسانِ به قــد حُدّ او رُسِمَا
٣٢ **النحوُ** : علمٌ بأحكامِ الكلامِ ومــا
من التغــايُرِ يعرو اللفظَ والكلما

٣٣ **وللكلامِ** كلامٌ في حقيقتـــه
فإن تردْ حـــدّه فاسمعه منتظما

٣٤ « إن الكلامَ هو القولُ الذي حصلَت
بـــه الافادةُ لما تمّ والتأمـــا »

تقسيم الكلام :

٣٥ وكلّ قـولٍ اذا قسَّمتَه أنقسما — **اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ** ثالثٌ لهما
٣٦ **فالاسمُ** لفظٌ يدلُّ السامعـين له — على حقيقةِ معنىً وقتُهُ أنبَهَمَا
٣٧ و**الفعلُ** لفظٌ يدلُّ السامعين له — على حقيقةِ معنىً وقتـه آنفهما
٣٨ و**الحرفُ** لفظٌ يدلُّ السامعين على — معنىً ، ولكنّـه في غيره فُهِـما

اللفظ المعرب والمبني :

٣٩ و**اللفظ** نوعان : مما أعربوا وبنوا — فاحكمْ على كلّ لفظٍ بالذي حكِـما
٤٠ **فالمعربُ** اسم وفعلٌ ذو مضارعةٍ — والمبتنى: الحرفُ والفعلُ الذي انصرما
٤١ والامرُ من غير لامٍ قد تخولفُ هل — أضحى على الوقفِ مبنياً او انجزما
٤٢ تغيّر اللفظِ عـــن تغيير عامله — اعرابُهُ ، وهو في الأطراف قد علما
٤٣ فالاسم متفقٌ لفظـــاً ومختلفٌ — معنىً ، لذلك بالإعراب قد وسما
٤٤ والفعلُ مختلفٌ لفظاً وأزمنـــةً — فلم يرم فيـه اعراباً ولا جشما
٤٥ لكنهم أسهموا الفعلَ المضارع في — ما آختصّ بالإسم من إعرابه سهما
٤٦ **فالاسم** بالخفضِ مختصٌّ ويـدخله — رفعٌ ونصبٌ ومنه الجزمُ قد عدما
٤٧ و**الفعلُ** بالجزم مختصٌ ويدخلُهُ — رفعٌ ونصبٌ كما في الإسم قد رُسما

أصناف العوامل :

٤٨ و**القولُ** في حصر أصناف العوامل خُذْ — فيه وَخُضْ منه في بحرٍ قد ألتطما

٤٩ وعاملُ الرفع قدّمه ومنـه إلى ... عواملِ النصبِ والخفضِ انقلِ القدَما

٥٠ ورافعُ الإسمِ ان حققتَ أضرُبَهُ ... **لمعنويٍّ** ، **ولفظيٍّ** قـد انقسما

٥١ فالمعنويُّ ابتـداءٌ لا وجودَ له ... إلا إذا أصبح اللفظيُّ منعدما

رافعات الاسماء :

٥٢ ورافعُ اللفظِ فعلٌ او مشابِهُهُ ... وما غدا مَعَهُ في الحكمْ مُستَهِما

٥٣ **من اسمِ فعلٍ** ، او **مفعولٍ** او **مثلٍ** ... في كلّ ما علمت ليستْ بدونهما

٥٤ ومن **صفاتٍ** تساويهـا اذا رفعت ... حُكْماً ، وان لم تكن في النصبِ مثلهما

٥٥ **ومصدرٌ** ، **واسم فعلٍ** بين مرتجلٍ ... وذي اشتقاقٍ غدا ينقاسُ او عُقِمَا

٥٦ ومن **حروفٍ** له أضحتْ مشابِهةً ... كمثل **إنّ** ، ومـا في شكلها نُظِما

٥٧ من كل رافعِ مـا أضحى له خبراً ... وناصبِ اسمٍ **اذا ما** لم يُكَفّ بما

٥٨ فـ **إنّ أنّ** لها أختٌ مذ ارتضعا ... ثَدْيَ التشبهِ بالأفعالِ مـا فُطِما

٥٩ وعدّ **لكنّ** أختا ، أو **كأنّ** لهـا ... **وليت** ، ثم **لعلّ** المرتجى بهما

٦٠ **وما** ، و **لاتَ** ، و **لا** للإسم رافعةٌ ... وما يزال اسمُ **لاتَ** الدهرَ مكتتما

ناصبات الاسماء :

٦١ وناصبُ الإسمِ **فعلٌ** او **مشابِهُهُ** ... فكن لمعرفةِ الأشبـاهِ ملتهما

٦٢ والفعلُ منه **معدّىً** جازَ فاعلَهُ ... لنصبِ مفعوله مثل: **انتضى ورمى**

٦٣ ومنه ، غـيرُ مَعدّى في كلامهمُ ... كمثلِ **سالَ** ـ اذا مَثّلْتَهُ ـ **وهمى**

٦٤ فذو التعدي اذا احببتَ قِسْمَتَهُ ... وجدته في لسانِ العُرْبِ منقسما

٦٥ (١) **لناصب** واحداً (٢) **او ضعفَ ذلك** او ... (٣) **ثلاثةٌ** : بعضُها بعضاً قد التزما

٦٦ فالناصباتُ لمفعولٍ على حـدةٍ ... كثيرةٌ **كوَشى** ، او **خاطَ** ، او **رقما**

٦٧ **والناصباتُ لمفعولين** في نَسَقٍ ... كمثل **ظنّ** و **أعطى** ، بابهـا انقسما

٦٨ فباب « **أعطى** » **كسا** منه ومنه **سقى** كما تقول : سقاكَ اللهُ صَوْبَ سما
٦٩ ومنه **أولى** و **آتى** ، مثل قولهم أولاكَ ربي نعيمَ العيشِ والنِّعما
٧٠ كما تقول لمن تهوى النعيمَ له : أنالكَ النِّعَمَ الوهابُ والنِّعمَا
٧١ وباب «**ظنّ**» **رأى** منه و**خال** وان تَصِلْ بها عَلِمَ اذكر بعدها **زعما**
٧٢ وصل : **حسبت** بها واعدد **وجدت** وكنْ لذكر **ألفيتَ** في ذا الباب مُتَّهما
٧٣ ما لم يكن ذاك وجداناً وموجدةً ولا التفاتاً وعرفاناً ولا تُهَما
٧٤ والناصباتُ لمجموع الثلاثة لم يكثرنَ ، فاصرفْ الى إحصائها الهمما
٧٥ **أرى** الذي نقلته من « **رأى** » ألِفٌ ومثلها **أعلمَ** المنقولُ من « علما »
٧٦ ومثل **حدَّثَ** او **أنبا** و **اخبر** او ما قيس من **أوهم** المشتقّ من وهما
٧٧ وقاسَ بالهمزةِ النقلَ ابنُ مسعدة [1] في باب« **ظن** » وفيه خالفَ القُدَما
٧٨ والناصبات لأخبارٍ قد ارتفعت أسماؤها ، كلُّ فعلٍ ناقصٍ عُلما
٧٩ كمثل **كان** و**أضحى** ثم **أصبح** أو **أمسى** كقولك: أضحى الزهرُ مبتسما
٨٠ و**بات** أو **صار** أو **ظل** الثلاثةَ صِلْ بها كقولك : ظلَّ الغيمُ مرتكما
٨١ **وليس** معناه جعل الانتفاءِ لما مضى ، لذاك عن التصريف قد حسما
٨٢ وعدّ ما **دام** منها نحو قولك : لا أسيرُ ما دام حرُّ القيظِ محتدما
٨٣ وكلُّ فعلٍ غدا إيجابه سلبا والنفيُ فيه وجوبٌ بعد ليس وما
٨٤ تقول : ما زلت مفضالاً وما برحت منك السجايا تُوالي الجودَ والكرما
٨٥ ولست تنفكُّ محساناً ، وما فتئتْ يُمناكَ آسيةً بالجودِ مَنْ كُلِما
٨٦ والنصبُ في الخبر المنفيّ يوجبه ذوو الفصاحة من أهل الحجاز بما
٨٧ وتنصبُ الخبرَ المنفيّ لات ولا والحينُ في لاتَ في الأخبارِ قد لزما
٨٨ والناصبات لأسماءٍ ، قد ارتفعَتْ أخبارُها ، أحرفٌ قد عدّها العُلَما

(١) سعيد بن مسعدة ، الأخفش الصغير .

٨٩ وهي التي ذُكِرَتْ في باب إنّ فلا ... معنى لكرٍّ حروفٍ يورثُ السأما
٩٠ وأنصبْ بلا الإسمَ وارفعما غداخبراً ... ولتجعل الإسم بالتنكير متسما
٩١ وينصبُ الإسمَ من نادى وخَصّ ومن ... أثنى وعظّم أو مَنْ ذمّ أو رحما
٩٢ **وللنداءِ** حروفٌ وهي : **يا وأيا** ... **وأي** لِمَنْ قد غدا مدعوُّهُ أمما
٩٣ **والهمزةُ** انتظمت في **سلكها وهيا** ... **ووا** لندبةِ من قد فادَ وأخْتُترِما
٩٤ ونصبُ الاسمِ بإلاّ واجبٌ أبداً ... فيواجبٍ ،فالتزم في ذاك ما التُزِمَا
٩٥ وانصبْ بها الأسم فيما قدّموه ومـا ... قد ظلّ منقطعاً منـه ومنصرما
٩٦ وَسِمْهُ بالنصبِ في ما تمّ من سَلْبٍ ... من قبل إلاّ اذا أحببتَ ان تَسِمَا
٩٧ وانصبْ كذاك **بحاشا** او **عدا وخلا** ... ولا تَكونَن في ما قلتُ مُتّهِمَا
٩٨ والنصبُ في**ما عدا** او **ما خلا** اقضِ به ... فكلهم لهما بالنصبِ قـد جزَما
٩٩ **ولا يكون وليس** انصب معاً بهما ... اذا غـدا فيهما الإضمارُ مكتتما
١٠٠ والقولُ في بابِ الاستثناء مُتّسِعٌ ... وقد تخالفَ فيـه الجلّةُ الزعما
١٠١ وقـد تبلّه قومٌ فيـه لا سِيَمَا ... من عدّ بَلْهَ في الاستثنا ولا سيما
١٠٢ **وخافضُ** الاسم حرفٌ للإضافةِ او ... اضافةٌ دون حرفٍ فلتكنْ فهِمَا
١٠٣ **كاللامِ والكافِ** تشبيهاً وَ**مِنْ والى** ... **وعن وفي وعلى** ليس المُراد سما
١٠٤ **والباء والواو والتاء** التي أبـداً ... تحـالفُ الحلفَ باسم الله والقسما
١٠٥ **وربّ** تخفضُ ما نَكرْتهُ أبداً ... لا مـا تميّزَ بالتعريفِ واتسما
١٠٦ **ومذ ومنذ** ابتـداءً في الزمان كما ... مَنْ في المكانِ وقد جروا معاً بهما
١٠٧ ومثـل **حاشا** لمستثنٍ **عدا وخلا** ... قد استوى حكْمُها خفْضاًوحكمهما
١٠٨ والجرّ عند هذيلٍ في **متى** لغة ... وذلك الحكم في استعمالهـا قدما
١٠٩ وليس إضمار حرف الخفضِ مطرداً ... فلا تكونن في الإضمارِ محتكما
١١٠ فلم يقسْ ذاك إلا في مواضعَ قـد ... خصّتْ ومن عمّ فيها كان مجترما

١١١ فأضمِرِ الحرفَ في أسم الله في قسمٍ   فذاك قد ظلَّ للأيجازِ مغتَنَما
١١٢ والرفعُ في كلّ فعلٍ ذي مضارعةٍ   بعاملٍ معنويّ سرُّهُ أكتتما
١١٣ وأحرفُ النصب أُحصيها على نَسَقٍ   فلا تكنْ من توالي ذكرها بَرِما
١١٤ أن ثم لن ثمَّ حتى بعدها وإذن   ومن يُحَصِّلْ معانيها فقد غنما
١١٥ واعدد لكيلا وكيلا ثم كيْ ولكي   وليس تَمْنَعُ من نصبٍ زيادةُ ما
١١٦ ولامُ كيْ مثلُ لام الجحد ناصبةٌ   ما كان في ذاك قانونٌ لينخرما
١١٧ والفاء والواو فيغير الوجوبِ وأو   ومَنْ يحقق معانيها فقد فَهِما
١١٨ وأحرفُ الجزمِ أُحصيها على نسقٍ   فلا تكوننَّ ممنْ ملَّ أو سئِما
١١٩ لا تجزمُ الفعلَ في نهيٍ وأدعيةٍ   ولام الامر تريك الفعلَ منجزما
١٢٠ وفي ألمَّا ولمَّا ثم لمْ والم   بجزمِ منفيةِ الأفعالِ قد جَزَما
١٢١ وان واذما ومهما ثم من ومتى   ومثل انى وايان واين وما
١٢٢ واينما كيفما او حيثما اتلُ بها   وعدَّ أيا وأياماً وأيَّتما
١٢٣ والامر والنهي او ما كان نحوهما   جزمُ الجوابِ عليها طالما اغتنما
١٢٤ والقولُ في ذكر ما للمعربات غدا   علامةٌ في اسمٍ او فعلٍ بها رسما
١٢٥ فالرفعُ بالضمِّ في الفن الصحيح وما   لا نونَ في جمعه والفعل قد علما
١٢٦ والواوُ في خمسة الاسماءِ ترفعها   كمثل ما ترفعُ الجمع الذي سلما
١٢٧ تقول عمروٌ ابوه او اخوه أتى   فافترَّ فوه من السرَّاءِ وابتسما
١٢٨ وخولةٌ هام ذو مالٍ بها وصبا   وجداً فغار حَمُوها منه واحتشما
١٢٩ والرفعُ في كل ما تَثنيتُهُ ألِفٌ   ما اختلَّ في ذاك قانونٌ وما انخرما
١٣٠ والنونُ في كل فعلٍ ذيَّلوه بها   من بعدِ مَنْ قد غدَتْ في رفعه علما
١٣١ والنصبُ بالفتح في ما ليس يلحقه   مدٌّ ونونٌ من الصنفين قد رسما
١٣٢ وألحِق الألفَ الأسماءَ خَمْستَها   في النصبِ ، تجلُ من الإلباس كل عمى
١٤٣ والنصبُ بالكسرِ فيتاءِ الجموع فكن   لكل ما التزموا منْ ذاك مُلْتزما

١٣٤ والحذفُ للنونِ في الفعـــل الذي رَدَفَت
يُرَى بهـــا الفعل منصوباً كما انجزما

١٣٥ وسالمُ الجمـعِ والإثنان نصبها — معاً وخفضها بالياء قـــد رُسِما
١٣٦ والخفضُ بالكسرِ في ما لم يُثَنَّ ولم — يجمعْ بنونٍ ولم يَثْقُلْ ولا سُقِما
١٣٧ والخفضُ في خمسة الاسماءِ عندهمُ — بالياءِ قد صحّ هذا الحـكم وارتسما
١٣٨ والخفضُ بالفتحِ في ما ليس منصرفاً — ومنه قـــد أصبح التنوينُ منصرما
١٣٩ وكلُّ فعلٍ بضمٍّ أنت ترفعُهُ — فبالسكونِ لدى الإعراب قد جُزِما
١٤٠ وكلُّ معتلِّ فعلٍ فهو منجزمٌ — بالحذف من لم يقل هذا فقد وهما
١٤١ وحكم بابٍ فبابٍ قد عزمتُ على — تفصيلهِ فلتكن للفهمِ معتزما
١٤٢ والقولُ في ذكرِ أحكامِ العواملِ خذ — فيه وخُضْ كلَّ بحرٍ للكلامِ طما
١٤٣ **أصل الكلام** ابتـــداءٌ بعده خبرٌ — كلاهما ظلَّ فيه الرفع ملتزَما
١٤٤ فان أتى ناسخٌ للأبتداءِ غـــدا — بحكمه غيرَ مُبْقٍ ذلك الحُكُما
١٤٥ والناسخاتُ له أفعال أفئـــدةٍ — وفعلُ نقصٍ وحرفٌ جمعها قسما
١٤٦ فبعضها ينصبُ الإسمين في نسقٍ — كمثلِ **ظنَّ** وما في سلكها انتظما
١٤٧ وبعضها رافعُ اسمٍ ناصبٌ خبراً — كمثل **كان** وما في بابهـــا ارتسما
١٤٨ وبعضها ناصبُ اسمٍ رافعٌ خبراً — كمثل إنّ ومـــا في شعبها اقتحما
١٤٩ والحقُّ في كل بابٍ ان يبين مـــا — يحقُّ أن يُنْتَحَى فيه ويُلْتَزَمـــا
١٥٠ والقول في الإبتداء ابدأْ به وبمـــا — يكونُ أصلاً وكنْ بالفرع مختتما
١٥١ فالابتـــداء كلا الاسمين مرتفعٌ — به وان كان في الثاني قد اختُصِمَا
١٥٢ تفيـــد نسبة إخبـــار لمبتـــدأ — معنىً إذا ارتبط اللفظان والتحما
١٥٣ تفيـــد نسبة مجهـــولٍ لمعرفة — معنى كقولك زيدٌ مكرمٌ حكما
١٥٤ ونسبةٌ بين مجهولين قـــد عدمت — احاطةً لم تفـــد فكراً ولا فهما
١٥٥ وحق ما ابْتُدِىءَ التقديمُ عندهمُ — وربمـــا قدّموا الأخبار رُبَّتما

١٥٦ والمبتدا أخبروا عنه بما هو هو وما تضمنه أو ما قد التزما
١٥٧ مما يشابه ذا أو ما يعادله كشأنِ اصبح فرداً ذاك او أمما
١٥٨ وبالمسببِ عنه والمضافِ له ان كان معناه من معناه منفهما
١٥٩ وبالنقيض الذي منه يدال كما قالوا : تحيته ضربٌ به أَلما
١٦٠ ومسندُ الخبر اقسمه لمنفردٍ لجامدٍ ولمشتقٍّ قد انقسما
١٦١ وجملة ناسبت ما خبروا هي أو ما ناسبته ولا ٱلتاطت به رَحِمَا
١٦٢ والظرفِ بالحرفِ أو لا حرفَ يصحبُهُ
في الوقتِ والأين مختصاً ومنبهما
١٦٣ وكلّ ما جعلوا من جملةٍ خبراً فالمضمراتُ غدت في ربطها عصما
١٦٤ فجملةُ الابتداء أستعملت خبراً تقول : زيدٌ أبوهُ كاسبٌ خدما
١٦٥ وجملةُ الفعلِ في الإخبارِ واقعةٌ تقول:صوبُ الحيا من جودك أحتشما
١٦٦ وجملة الشرط مما يخبرون به تقول : زيدٌ متى ما يعرُ ذا رحما
١٦٧ والفاءُ في الخبر المضحي له سبباً وصلٌ ووصفٌ لمنكورٍ قد أنبهما
١٦٨ يجوز إلحاقها ، والفاءُ مَدْخلها في غيرِ ذاك من الأخبارِ قد حُرِما
١٦٩ وان جعلت أسم موصول له خبراً لم تلفِ فيه لحرف الفاء مقتحما
١٧٠ وقد تُفَضَّلُ أخبارٌ مُرَتَّبةٌ من ابتداءاتها قد قُوبِلَت بلما
١٧١ تقول: نطقي وفكري والبنانُ تلا وصاغ واختطَّ في أمداحك الكلما
١٧٢ وكم وكم خبرٍ تلفيه مُزدوجاً من موجبين ومنفيين قد لئما
١٧٣ فمثل قولك حلوٌ حامض هوَ لا حلو ولا حامض في ذوق من طعما
١٧٤ واحذف إذا آشتركَ الإسمانِ في خبرٍ
مما عطفت فلو التسديد من خرما
١٧٥ وجيء بمشتركِ الأخبار منفرداً وقل : عليٌّ وعمروٌ مكرمٌ قُثَمَا
١٧٦ وخذ بما شئته من قولهم عمرٌ وصالحٌ صالح ، أو صالحان هما

١٧٧ وحقّ ما ابتدىءَ التعريفُ عندهم   وقد يكونُ له التنكير ملتزما
١٧٨ وللبداية بالتنكير أَمكنةٌ   منهنّ في خبرٍ : في العيد عدٌّ كما
١٧٩ وفي تعجبٍ او شرطٍ ومسألةٍ   بذاك واضعُ حُكمِ اللفظِ قد حكما
١٨٠ وفي جوابٍ وفي نفيٍ وأدعيةٍ   بذاك واضعُ حُكمِ النطقِ قد حتما
١٨١ وفي مفاضلةِ الأنواع قد بدءوا   به وما ظلّ بالتفضيل منقسما
١٨٢ وفي مظنة تنبيهِ السميعِ على   ما ظلّ مستشعراً او كان متهما
١٨٣ وأبدأ بما خصّصتْ تنكيرَهُ صفةٌ   فلم يكنْ بعدَ تخصيصٍ ليَنبهما
١٨٤ وابدأ بأخبارِ ما في حُكمِ معرفةٍ   واسمٍ وأَردفْ لغيرِ الأسم مختتما
١٨٥ وان سواءً وسيانِ ابتدأتهما   فلتجعلِ الخبرَ الفعلين بعدهما
١٨٦ تقول سيانِ أوْلى أو لوَى زمني   في ظلّكمْ ، وسواءٌ ضنّ أو كرما
١٨٧ أي لا أُبالي وسقيا جودكم أحبا   دهري مواهبَ أم لم يحبني وجما
١٨٨ وان بأمْ ألف استفهامٍ أقترنتْ   في الجملتين فذاك الحُكْمُ حكمهما
١٨٩ ولا تعرف لما نكرته خبراً   فالقول منه بعكسِ الوضع قد عُصِما
١٩٠ وانْ تَسُقْ غيرَ وصفِ الشيءِ عن خبرٍ   له فأبرز من الأضمارِ ما اكتتما
١٩١ تقول اسماءُ عبدِاللهِ مضمرةٌ   هي اعتناءٌ به ان ضيمَ واهتُضِما
١٩٢ وأضمرِ المبتدا للإختصارِ إذا   ما شئتَ واحذفْ من الأخبار ما علما
١٩٣ ولتجعلِ الحذفَ أيضاً في الجواب على   سؤالِ مستفهمٍ مستخبرٍ لعمى
١٩٤ وبعد لولا احذفِ الأخبارَ مكتفياً   بالفهم فيها وللإيجاز مغتنما
١٩٥ والحالُ عن خبرٍ مما تنوبُ إذا   إضمار إذ وإذا من قبلها لزما
١٩٦ مع المصادرِ عند الابتداء بها   تقولُ : عهدي بعبدالله مبتسما
١٩٧ والعربُ قد تحذفُ الأخبار بعد إذا   إذا عَنتْ فجأة الأمْرِ الذي دهما
١٩٨ وربما نصبوا بالحال بعد إذا   وربّما رفعوا من بعدها ربما
١٩٩ فان توالى ضميران اكتسى بهما   وجْهُ الحقيقةِ من إشكالهِ غمَمَا

٢٠٠ لذاك أعيت على الأفهام مسألةٌ أهدتْ إلى سيبويه الهمَّ والغمما

٢٠١ قد كانت العقربُ الهوجاءُ حسبها قدماً أشدَّ من الزنبور وقعَ حما

٢٠٢ وفي الجواب عليها هل إذا هوَ هي أو هل إذا هو إياها قـد اختصما

٢٠٣ وخطّأ ابن زيادٍ وابن حمزة في ما قال فيهـا أبا بشر وقد ظلمـا

٢٠٤ وغاظ عمراً عليٌّ في حكومته يا ليتـه لم يكن في امره حكما

٢٠٥ كغيظِ عمروٍ علياً في حكومته يا ليته لم يكن في امره حكما

٢٠٦ وفجع ابنُ زيادٍ كلَّ منتخب من اهله اذ غدا منه يفيض ذما

٢٠٧ كفجعةِ ابن زياد كل منتخب من اهله اذ غدا منه يفيض ذما

٢٠٨ فظلَّ بالكرب مكظوماً وقد كربت
بالنفسِ أنفاسُـهُ ان تبلغ الكظما

٢٠٩ قضتْ عليه بغيرِ الحقّ طائفة حتى قضى هدَماً ما بينهم هدما

٢١٠ من كلِّ أجورَ حكماً من سدومَ قضى
عمرو بن عثمان ممـا قد قضى سـدما

٢١١ حسادة في الورى عمّتْ فكلهمُ تلفيـه منتقداً للقول منتقما

٢١٢ فمـا النُّهى ذمـاً فيهم معارفها ولا المعارفُ في أهـلِ النهى ذمما

٢١٣ فأصبحتْ بعده الأنفاسُ كابية في كل صدرٍ كأن قد كظَّ أو كظما

٢١٤ وأصبحتْ بعده الأنقاسُ باكيةً في كل طِرْسٍ كدمع سحّ وانسجما

٢١٥ وليس يخلو امرؤ من حاسدٍ أضمٍ لولا التنافسُ في الدنيا لمـا أضما

٢١٦ فكم مصيبٍ عزا من لم يصبْ خطأً له وكم ظالمٍ تلقـاه مظّـلما

٢١٧ والغبن في العلم أشجى محنةٍ علمت وأبرحُ الناسِ شجواً عالمٌ هضما

(انتهى ما وجد بحمد الله)

استدراك

الأبيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ من القصيدة الجيمية المكسورة (رقم : ١٠) وردت في رحلة التجاني : ١٨٤ (ط . تونس ١٩٥٨) . والقصيدة : ٩ في نفح الطيب . والأبيات ١٩٧ – ٢٠٧ ، ٢١٤ –٢١٧ من المنظومة النحوية وردت في مغني اللبيب لابن هشام : ٨٩ – ٩٠ بتحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد .

فهارس الديوان

١ ـــ فهرست القوافي

٢ — موضوعات الشعر

٣ ـــ فهرست الأماكن

تصويب (*)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١	بسوابحِ	بسوابحٍ
٢٩	١٠	غداُ	غداَ
٣٠	٠٨	وسوابغٍ	وسوابحٍ
٤٥	٠٢	أشهرتَ	أسهرتَ
٤٦	١٣	العقبان	العقيان
٧١	١٢	مشط	مشطا
٧٩	٠٩	منُ	منْ
٧٩	١٠	يراك	براك
٨٨	٢٢	النوى	الندى
١١٢	٠٧	ومنها خاطر	خاطر

(*) وقعت أخطاء مطبعية لا تخفى على القارىء وانما نشير إلى أهمها .

تم طبعه بمطبعة عيتاني الجديدة

بيروت
١٩٦٤